الفصل الخامس

اليـــوم الآخـــــر

* علامات الساعة
* النفخ فى الصور
* الحشر
* الشفاعة
* العرض على الله
* تطاير الصحف
* الحســـــاب
* الحـــوض
* الميـــــزان
* الصـــراط
* أصحاب النار وأصحاب الجنة
* نعيم الجنـــــة
* عذاب النـــار

obeikandl.com

عـــلامات الساعـــة

يجب على المسلم أن يؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن علمها عند الله وحده، فلا يعرفها نبى مرسل ولا ملك مقرب، وأنه لا سبيل لأحد لأن يعرفها ما بقى من عمر الدنيا.

يقول الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾

[لقمان: ٣٤]

ويقول تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾

[الأعراف ١٨٧]

ينبغى على الناس أن يشغلوا أنفسهم بالتهيؤ والاستعداد لها بدلاً من أن يشغلوا أنفسهم بالسؤال عن موعدها.

الحكمة من إخفاء موعد الساعة:

يقول تعالى ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: ١٥ - ١٦].

فإخفاء موعدها عن الناس يجعلهم على استعداد دائم لها، وعلى حذر دائم، ولو علم الناس موعد الساعة لما نشطوا، ولما عملوا، ولوهت عزائمهم وأما أن يترقبوها فى كل لحظة وحين فهذا أدعى لأن يشمروا عن السواعد ليتأهبوا لها، ذلك لمن آمن بها وأيقن أن العدالة الكاملة، والجزاء الكامل لم يتحقق فى

الدنيا بين البشر، أما أولئك الذين يتبعون أهواءهم فيغفلون عنها فيهلكون فيها.

أولا: علامات الساعة الصغرى:

وهى أمارات أخبر بها رسول الله ﷺ - معظمها يدور حول انحراف الناس عن المنهج الذى جاء به رسول الله ﷺ. ومن هذه الأمارات:

١ - بعثة الرسول ﷺ: فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبى بينه وبين الساعة، وهذا دليل على اقترابها يقول تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]

ويقول ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين».

وأشار بالسبابة والوسطى (١).

٢ - كثرة العقوق فى الأولاد، فيعامل الولد أمه كما يعامل السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب، وتعامل البنت أمها كما تعامل السيدة أمتها.

٣ - أن يصير أسافل الناس رؤساءهم فتكثر أموالهم حتى يتباهون بطول البنيان وزخرفته وإتقانه.

ففى حديث جبريل أنه سأل رسول الله - ﷺ - عن الساعة فقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال: فأخبرنى عن أمارتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان» (٢).

٤ - إضاعة الأمانة بتوسيد الأمور لمن هم ليسوا أهلاً لها، وتنحية أهل الكفاءة، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: متى

---

(١) رواه البخارى: كتاب الرقاق، باب قول النبى - ﷺ - بعثت أنا والساعة كهاتين، حديث رقم (٦٥٠٣، ٦٥٠٤، ٦٥٠٥).

(٢) رواه البخارى: جـ ١ ص ٩٩، ص ١٠٠ (فتح البارى).
ورواه مسلم: جـ ١ ص ١٥٨ (بشرح النووى).

الساعة؟ فقال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا أسند الأمر لغير أهله فانتظر الساعة» (١).

٥ – اقتتال فئتين عظيمتين، وهذا ما حدث فى العصر الأول بين على ومعاوية فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان وتكون بينها مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة» (٢).

٦ – كثرة القتل والحروب، فعن أبى هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال «لا تقوم الساعة حتى يكثر الهَرْجُ قالوا وما الهَرْجُ يا رسول الله؟ قال القتل القتل.

٧ – ظهور الدجالين الذين يدَّعون النبوة، وقبض العلم، وكثرة الزلازل، وتقارب الزمان، وظهور الفتن، وكثرة القتل، وكثرة المال.

فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينها مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل؛ ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهَرْجُ وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه. لا أرَبَ لى به، وحتى يتطاول الناس فى البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتنى مكانه» (٣).

والذين ادعوا النبوة أكثر من ثلاثين بكثير، ولكن هؤلاء الثلاثون هم من

---

(١) رواه البخارى: كتاب الرقاق، باب (٣٥) رفع الأمانة، حديث رقم (٦٤٩٦).

(٢) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ١٣.

(٣) رواه البخارى؛ كتاب الفتن، باب (٢٥) حديث رقم (٧١٢١).

كبرائهم الذين ينضوى تحتهم كثير من الناس، مثل مسيلمة الكذاب والأسود العنسى وغيرهما.

والمقصود بقبض العلم انتزاعه من الأرض بقبض العلماء العاملين والمقصود بالعلم هو العلم بالله ورسوله وهو العلم الذى يورث الخشية من الله تعالى.

والمقصود بتقارب الزمان نزع البركة من الوقت، أو نقصان عدد ساعات اليوم، أو قطع المسافات الطويلة فى وقت قصير بسبب وجود وسائل المواصلات السريعة.

٨ – مقاتلة المسلمين لليهود: فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» (١).

ولا يكون ذلك إلا إذا تحقق فى المسلمين حقيقة الإسلام وحقيقة العبودية.

٩ – شرب الخمر وظهور الزنا: فعن أنس – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ – «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمز، ويظهر الزنا» (٢).

وعنه أيضًا قال: لأحدثنكم حديثا لا يحدثكم أحد بعدى، سمعت رسول الله – ﷺ – يقول «من أشراط الساعة، أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد» (٣).

١٠ – تداعى الأمم على المسلمين: فعن ثوبان – رضى الله تعالى عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ – «يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى

---

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن، انظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٨ ص ٤٤ ورواه البخارى.

(٢) رواه البخارى: كتاب العلم، باب (٢١) رفع العلم وظهور الجهل، رقم (٨٠).

(٣) رواه البخارى: كتاب العلم، باب (٢١) رفع العلم وظهور الجهل رقم (٨١).

قصعتها! فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل! ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا، وكراهية الموت» (١).

١١ – كثرة الفرق الضالة: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل! حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، ليكونن فى أمتى من يصنع ذلك! وإن بنى إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة، كلها فى النار إلا واحدة!

قالوا: وما هى؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابى» (٢).

١٢ – كثرة خصال السوء وكثرة المعاصى: فعن على – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل فيها البلاء! قيل: وما هى يا رسول الله؟

قال: إذا كان المغنم دولا! والأمانة مغنمًا! والزكاة مغرمًا! وأطاع الرجل زوجته! وعق أمه! وبر صديقه، وجفا أباه!! وارتفعت الأصوات فى المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، أو خسفًا، أو مسخًا» (٣).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ –: إنها ستأتى على الناس سنون خداعة، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق،

---

(١) رواه أبو داود: كتاب الملاحم، باب فى تداعى الأمم على الإسلام، رقم (٤٢٩٧).
(٢) أخرجه الترمذى
(٣) رواه الترمذى، وقال حديث غريب (جـ ٤ حديث رقم ٢٢١٠).

ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة: قال: السفيه يتكلم فى أمر العامة» (١).

١٣ – هدنة بين المسلمين والروم (نصارى أوروبا وأمريكا) فعن عوف بن مالك قال: أتيت النبى – ﷺ – فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم فقال: «اعدد ستًا بين يدى الساعة: موتى، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقفاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر (النصارى) فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفًا» (٢).

وعن ذى مِخْبَرٍ – رجل من أصحاب النبى ﷺ – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستصالحون الروم صلحًا آمنًا فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائكم فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذى تلول فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع الملحمة» (٣).

ثانيا: علامات الساعة الكبرى:

١ – طلوع الشمس من المغرب: وهذه بداية التغيير الذى يحدثه الله على نظام الكون فى الحياة، حيث تظهر الأمور الغير مألوفة لدى الناس فعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – أن النبى ﷺ قال: «إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا» (٤).

---

(١) رواه أحمد فى المسند: جـ ١٥، حديث رقم (٧٨٩٩)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده حسن، ومتنه صحيح.

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه أبو داود: كتاب الملاحم، باب ما يذكر من ملاحم الروم حديث رقم (٤٢٩٢).

(٤) رواه مسلم: جـ ١٨ ص ٧٧ (بشرح النووى).
ورواه أبو داود: كتاب الملاحم – باب أمارات الساعة (٤٣١٠).

وإذا ظهرت هذه الآية – طلوع الشمس من المغرب – أغلق باب التوبة، فلا تقبل توبة من عاص ولا إيمان من كافر، يقول تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا** ﴾

[الأنعام: ١٥٨]

٢ – خروج الدابة: ولا يشغلنا البحث عن صفاتها، وكيفية خروجها، ولا من أين تخرج، ولا كيف تتكلم، ولا ماذا تقول، ولكن الذى يهمنا أن الله تعالى يظهر آية من آياته ليراها الذين كانوا لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدقون بيوم القيامة، وليزداد الذين آمنوا إيمانًا، يقول تعالى ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ** ﴾ [النمل: ٨٢].

وبعد خروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذ أنه لا فائدة منه حينئذ.

٣ – ظهور الدجال: وهو رجل كذاب، يدعى الألوهية، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثه من خوارق العادات وعجائب الأمور، بإذن الله – ولكنه يحمل فى صورته دلائل كذبه، كنقص صورته، والعور الذى يكون فى عينه، والشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، فيثبت الله الذين آمنوا ويضل الظالمين، ثم يأذن الله بنزول عيسى – عليه السلام – فيقتله، وقد وردت أحاديث صحيحه فى شأنه منها:

* عن أنس – رضى الله عنه – قال: قال النبى – ﷺ – «ما بُعث نبى إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وإن بين عينيه مكتوب: كافر» (١).

وعن أبى بكرة – عن النبى – ﷺ – قال: «لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، ولها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان» (٢) وعن حذيفة – رضى

---

(١) رواه البخارى: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، حديث رقم (٧١٣١).

(٢) رواه البخارى: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، حديث رقم (٧١٢٥).

الله عنه – عن النبى ﷺ قال فى الدجال: «إن معه ماء ونار، فناره ماء بارد وماؤه نار» (١).

وإنما يجعل الله ذلك على يديه على سبيل الفتنة للعباد.

٤ – نزول عيسى عليه السلام: ويجب على المسلم أن يؤمن بنزول عيسى عليه السلام ليحكم الناس بشريعة الإسلام، ويقتل المسيح الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية عن أهل الكتاب فلا يقبل منهم إلا الإسلام، فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ – «والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم – ﷺ – حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» (٢).

وعن عروة بن مسعود الثقفى قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين لا أدرى أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه. ثم يحكم الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ...» (٣).

لماذا خص عيسى – عليه السلام – بذلك من بين الأنبياء؟

يجيب عن ذلك الشيخ محمد الغزالى – رحمه الله – فيقول:

«ولعله خُص بذلك من بين الأنبياء، لأن الخرافة التى تعلقت بشخصه ملأت الأرجاء وقامت باسمها دول قوية، فليكذب الرجل نفسه ما أشاع الخلق عن ألوهيته وهو ليس إلا عبدًا لله. ولما كانت الحياة وحدة متماسكة فنزوله فى آخر الزمن كاف فى الدلالة على هذا المعنى، وإن جاء عقب ضلال طويل» (٤).

٥ – ظهور يأجوج ومأجوج: وهم قوم مفسدون همجيون، لا يضبطهم

---

(١) رواه البخارى: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، حديث رقم (٧١٢٥).

(٢) رواه مسلم: ، باب بيان نزول عيسى بن مريم حاكما، انظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ١٨٩ : ص ١٩٠.

(٣) رواه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ٧٥ – ٧٦.

(٤) عقيدة المسلم ص ٢٢٥.

وحى، ولا يحتكمون إلى شريعة، وهم يعيشون فى الصين؛ وكان يجاورهم قوم ضعاف عاجزون يخشون بطشهم وهمجيتهم، فاستعانوا بالملك الصالح الذى آتاه الله ملكًا وعلمًا (ذو القرنين) ليقيم بينهم سدًا يحجز بينهم يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٢ : ٩٨].

ومن علامات الساعة ظهور هذه الأمة المفسدة مرة أخرى يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦ : ٩٧].

وفى الحديث: عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يأجوج ومأجوج يحفران كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدًا فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله تعالى فاستثنوا فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم فى حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع عليها الدم، فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله تعالى عليهم نَغَفًا فى أقفائهم فيقتلهم بها» (١).

(١) أخرجه ابن ماجة (٤٠٨٠) الفتن.

وقد وقفت على كثير من الآثار التى تبين أماكن وجودهم، وصفاتهم وما شابه ذلك، ولما لم أطمئن إليها - وخصوصًا أننا لسنا فى احتياج إليها - ضربت صفحًا عن ذكرها، فيكفينا ما قاله القرآن وما ورد فى صحيح السنة:

ومن ذلك:

ما روته السيدة زينب بنت جحش - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ - دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق بأصبعيه: الإبهام والتى تليها)، قالت زينب بنت جحش يا رسول الله: أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث» (١).

ومن ذلك أيضًا: ما جاء فى حديث النواس بن سمعان، حيث قال رسول الله ﷺ «ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء» (٢).

وقد ورد أن خروج يأجوج ومأجوج يتزامن مع وجود عيسى عليه السلام.

ففى حديث النواس بن سمعان: قال: ذكر رسول الله - ﷺ - الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع (هون من شأنه وبين فظاعته) حتى ظننناه فى ناحية النخل فقال: غير الدجال أخوفنى عليكم فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتى على كل مسلم، وإنه شاب جعد قطط، عينه طافية، وإنه يخرج خلة بين الشام

---

(١) رواه البخارى: (جـ١٣ /٧٠٥٩).
ورواه مسلم: كتاب الفتن، صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٨ ص ٢: ص ٣.
(٢) رواه مسلم: جـ١٨ ص ٦٨ (بشرح النووى).

والعراق، فعاث يميناً وشمالاً – يا عباد الله اثبتوا – قلنا: يا رسول الله: ما لبثه فى الأرض؟ قال: أربعون يومًا. يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة. وسائر أيامه كأيامكم. قلنا يا رسول الله. فذلك اليوم الذى كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: لا (اقدروا له قدره) قلنا يا رسول الله: فما إسراعه فى الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح قال: فيمر بالحى فيدعوهم فيستجيبون له، فيامر السماء فتمطر والأرض فتنبت، وتروح عليهم سارحتهم (أنعامهم) وهى أطول ما كانت ذرى، وأمده خواصر وأسبغه ضروعًا، ويمر بالحى فيدعوهم فيردون عليه قوله، فتتبعه أموالهم، فيصبحون ممحلين ليس لهم من أموالهم شئ، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسب النحل – قال: ويامر برجل فيقتل فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل إليه، فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل المسيح عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعًا يديه على أجنحة ملكين، فيتبعه فيدركه فيقتله عند باب لد الشرقى قال: فبينما هم كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام أنى قد أخرجت عبادًا من عبادى لا يدان لك بقتالهم فَحَرِّزْ عبادى إلى الطور فيبعث الله – عز وجل – ياجوج وماجوج (وهم من كل حدب ينسلون) فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل نَغَفًا (الدود الذى يكون فى أنوف الإبل والغنم) فى رقابهم فيصبحون كموت نفس واحدة، فيهبط عيسى وأصحابه فلا يجدون فى الأرض بيتًا إلا قد ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله – عز وجل – فيرسل الله طيرًا كأعناق البُخْت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

قال ابن جابر: فحدثنى عطاء بن يزيد السكسكى عن كعب أر غيره قال: فتطرحهم بالمهيل: قال ابن جابر: فقلت يا أبا يزيد: وأين المهيل؟ قال مطلع الشمس قال: ويرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر أربعين يومًا، فيغسل

الأرض حتى يتركها كالزلفة، ويقال للأرض: أنبتى ثمرك، ودرى بركتك، قال فيومئذ يأكل النفر من الرمانة فيستظلون بقِحْفِها، ويبارك فى الرِّسْل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس، واللقحة من البقر تكفى الفخذ، والشاة من الغنم تكفى أهل البيت، قال فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم - أو قال مؤمن - ويبقى شرار الناس، يتهارجون تهارج الحُمُر، وعليهم تقوم الساعة» (١).

* * *

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٥) الفتن.

obeikandl.com

النفخ فى الصور

والصور: هو البوق الذى ينفخ فيه إسرافيل – عليه السلام –

النفخة الأولى: وهى نفخة الصعق لفناء الخلق، وتسمى نفخة الفزع. يقول تعالى: ﴿ **مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [يس: ٤٩، ٥٠] فهى تأخذهم فجأة وهم فى خصامهم فى معترك الحياة ودوامتها، فهم آمنون منها، لا يتوقعونها، لا يحسبون لها أى حساب. فإذا هم خامدون، كل على حاله التى كان عليها، لا يملك أن يوصى لمن بعده، ولا أن يرجع إلى أهله وذويه.

فينبغى على النفس أن تحذر هذا الموقف وتترقبه، كما روى أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنعم، وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته، وانتظر أن يؤذن له؟ قالوا: يا رسول الله: كيف نقول؟ قال – ﷺ – قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل» فقال القوم: «حسبنا الله ونعم الوكيل» (١).

ويقول تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ [الزمر: ٦٨].

وإثر النفخة الأولى ينحل عقد هذا الكون المنظوم.

يقول تعالى: ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ** ﴾ [الحاقة: ١٣ – ١٦].

ويقول تعالى: ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

---

(١) رواه أحمد فى المسند، حديث رقم (١٩٣٦٤).
ورواه الطبرانى وابن حبان، والترمذى وحسنه.

يقول القرطبى – رحمه الله – «وفى حديث أبى هريرة: ثم يأمر الله عز وجل إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله. فإذا اجتمعوا أمواتًا جاء ملك الموت إلى الجبار فيقول: قد مات أهل السماء والأرض إلا من شئت. فيقول الله سبحانه – وهو أعلم – من بقى؟ فيقول: يا رب: بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقى حملة العرش وبقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وبقيت أنا فيقول الله – عز وجل – ليمت جبريل وميكائيل، فينطق الله عز وجل العرش. فيقول: أى رب يموت جبريل وميكائيل؟ فيقول: اسكت إنى كتبت الموت على كل من تحت عرشى، فيموتان قال: ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار جل جلاله. فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل. فيقول الله سبحانه – وهو أعلم – من بقى؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقى حملة عرشك وبقيت أنا فيقول: ليمت حملة العرش. فيموتون فيأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل. ثم يقول ليمت إسرافيل. فيموت. ثم يأتى ملك الموت فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك. فيقول – وهو أعلم – من بقى؟ فيقول: بقيت أنت الحى الذى لا يموت، وبقيت أنا. فيقول الله: أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت فيموت. فإذا لم يبق إلا الله الواحد الأحد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ فكان كما كان أولاً طوى السماء كطى السجل للكتاب. ثم قال: أنا الجبار «لمن الملك اليوم»؟ فلم يجبه أحد فيقول جل ثناؤه وتقدست أسماؤه «لله الواحد القهار» (١).

وعن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوى الله – عز وجل – السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ (٢).

---

(١) تذكرة القرطبى ص ١٩٥. (٢) رواه مسلم، ورواه ابو داود (ج ٤/ ٤٧٣٢).

ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل . . وليس فى الإنسان شئ إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة.

وفى حديث عبد الله بن عمرو: قال رسول الله ﷺ: يخرج الدجال فى أمتى، فيلبث فيهم أربعين، لا أدرى: أربعين يومًا، أو أربعين سنة، أو أربعين ليلة، أو أربعين شهرًا؟ فيبعث الله عز وجل عيسى ابن مريم - ﷺ - كأنه عروة بن مسعود الثقفى، فيظهر فيهلكه، ثم يلبث الناس بعده سنين سبعًا، ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى أحد فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدهم كان فى كبد جبل لدخلت عليه، قال: سمعتها من رسول الله - ﷺ -، ويبقى شرار الناس، فى خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، قال: فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيأمرهم بالأوثان فيعبدونها، وهم فى ذلك دارَّةٌ أرزاقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ فى الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى له، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه، فيصعق، ثم لا يبقى أحد إلا صعق، ثم يرسل الله، أو ينزل الله، قطرًا كأنه الطل أو الظل، - شك الراوى فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون . . .»[1].

النفخة الثانية: وهى نفخة البعث، وبعدها تعود الحياة إلى الأموات إعادة كاملة بالجسد والروح، يقول تعالى: ﴿**وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾

[ق: ٤١: ٤٤]

ويقول تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ**

---

(١) رواه أحمد فى مسنده، جـ ١٠، حديث رقم (٦٥٥٥)، وإسناده صحيح ورواه مسلم.

ومعنى: كَبد الجبل: وسطه وداخله، فى خفة الطير: اضطرابها ونفورها بأدنى توهم، أحلام السباع: عقولها الناقصة، يلوط حوضه: أى يطينه ويصلحه، الطل: المطر الخفيف.

وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ٦ - ١٤] والراجفة هي النفخة الأولى، والرادفة هي النفخة الثانية، ويقول تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ١ - ٦].

البعث حق والإيمان به واجب:

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥ - ١٦]

ويقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٦، ٧]

ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]

ويقول تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

ويقول تعالى مقدمًا دليلاً عقليًا على البعثة: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨ - ٧٩].

البعث ضرورة حيوية:

لا يمكن أن يتصور عقل سليم أن الله تعالى ينهى أمر الخلائق بمجرد موتهم.

ذلك أنه خلقهم لغاية، فمنهم من اتبع ومنهم من أعرض، منهم من عاش لله ومنهم من عاش للشيطان، منهم من فطم نفسه عما نهاه الله عنه، ومنهم من ترك لنفسه الحبل على الغارب، منهم من أصلح فى الدنيا، ومنهم من أفسد؛ فإذا انتهى أمر الإنسان عند الموت فقد استوى الذين عاثوا فى الأرض فساداً، وظلموا العباد، وخربوا ودمروا، وفسقوا وفجروا، وضلوا وأضلوا، سيستوى هؤلاء جميعًا بالذين أصلحوا واهتدوا، وأمر بالمعروف ونهوا عن المنكر، فيكون بذلك المؤمن هو الخاسر!

يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦].

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

وعلى هذا فلا بد من البعث ليعطى كل ذى حق حقه، ليرفع الله الذين ترفعوا عن الدنايا فى الدنيا، ويخفض الذين تمرغوا فى تراب المعصية.

يقول الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله -:

« سننتهى من هذه الدنيا، وستنتهى هذه الدنيا بعدنا .. ثم ماذا؟ نحب أن نقول أولاً - أو نؤكد ما قلناه قبلاً -: إن الله سبحانه وتعالى ماجد عظيم، وأن كماله الأسنى لا ترقى إلى كنهه العقول، وأنه أوجد البشر نفضلاً وأعطاهم - على ظهر هذا الكوكب الضيق - فرصة خطيرة لو أحسنوا استغلالها، وأنه سبحانه وتعالى لن يمنح الخلود فى جواره الكريم إلا لمن انتهزوا هذه الفرصة .. فترشحهم أعمالهم وأحوالهم للصعود إلى الرفيق الأعلى.

إن الله المجيد لا يقبل إلى جواره الأوغاد.

إن الله العليم لا يقبل إلى جواره الجهلة.

إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

إن الله نظيف يحب النظافة.

إن السفلة الذين التصقوا بالتراب وعاشوا له، لن يرتفعوا عنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] (١).

كُل يُبعثُ على ما مات عليه:

عن جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «يبعث كل عبد على ما مات عليه» (٢).

صور من أحوال المبعوثين:

١ – بعث الذى يُجرَحُ فى سبيل الله: عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى – ﷺ – قال: «والذى نفسى بيده لا يُكْلَمُ أحد فى سبيل الله – والله أعلم بمن يكلم فى سبيله – إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا، اللون لون الدم والعرف عرف المسك» (٣).

٢ – بعث الذى قتل فى سبيل الله والذى قتل مرائيًا:

عن عبد الله بن عمرو – رضى الله عنهما – أنه قال: يا رسول الله أخبرنى عن الجهاد والغزو فقال: «يا عبد الله بن عمرو إن قاتلتَ صابراً محتسبًا بعثك الله صابراً محتسبًا، وإن قاتلتَ مرائيًا مكاثراً بعثك الله مرائيًا مكاثراً، على أى حال قاتلتَ أو قُتلتَ بعثك الله على تيك الحال» (٤).

٣ – بعث الذى مات مُحْرِمًا: عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن رجلاً كان مع رسول الله – ﷺ – محرمًا فوقصته ناقته فمات فقال رسول الله – ﷺ – «اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً» (٥).

---

(١) عقيدة المسلم ص ٢٢٦.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخارى ومسلم.
(٤) رواه أبو داود: كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا (٢٥١٩).
(٥) رواه البخارى.

٤ - بعث النائحة:

عن أبى مالك الأشعرى - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال:

« ... النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب »[١].

٥ - بعث آكل الربا:

يقول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا** ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال ابن كثير - رحمه الله -: « أى لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قيامًا منكرًا، وقال ابن عباس: آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونًا يخنق »[٢].

* * *

---

(١) رواه مسلم (٦/٢٣٥) الجنائز.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٢٦ .

الحشـــــر

وهو سوق الناس – بعد البعث من القبور – إلى مكان الحساب الذى يجمع الله فيه الخلائق من الأولين.

يقول الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٠٣]

ويقول تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧].

صفة أرض المحشر:

يقول الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾ [طه: ١٠٥، ١٠٧].

فالجبال الراسية الراسخة تنسف فتصير قاعًا بعد أن كانت ارتفاعًا، ثم تستوى فلا يكون فيها ارتفاع ولا انخفاض، ولا نتوء ولا اعوجاج.

وقال ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لأحد»(١).

صفة الحشر: عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النارُ تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا»(٢).

---

(١) رواه البخارى: كتاب الرقاق، باب (٤٣) نفخ الصور (٦٥٢١) ورواه مسلم: صفة القيامة (١٧/ ١٣٤).

ومعنى عفراء: بيضاء تضرب إلى الحمرة قليلاً، ومعنى قرص النقى: أى الدقيق الخالى من الغش والنخال، ومعنى: ليس فيها معلم لأحد: ليس بها أى علامة فهى مستوية.

(٢) رواه البخارى: كتاب الرقاق، باب الحشر، رقم (٦٥٢٢).

ورواه مسلم: صفة القيامة (١٧/ ١٩٤، ١٩٥).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى – ﷺ – قال: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنف مشاه، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم» قيل يا رسول الله: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك»(١).

صفة حشر الكافر:

يقول الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] وهى صفة تناسب صفتهم التى كانوا عليها فى الدنيا من تعطيل الجوارح عن إدراك الهدى، فكذلك عطلها الله لهم فحرمهم منها يوم الزحام.

صفة حشر المتقين:

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] فهم وافدون إلى الرحمن فى موكب كريم.

يقول على بن أبى طالب – رضى الله عنه – «ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها الذهب، ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت، وإن هموا بها طارت».

صفة حشر المجرمين:

يقول تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦] فهم يساقون كالقطعان فى ذلة ومهانة، يساقون عطاشًا.

ويقول الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

فهم يحشرون زرق الوجوه من الغم والكدر الذى يعلوهم.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه.

صفة حشر المتكبرين : -

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن النبى ﷺ قال: يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الناس، يعلوهم كل شئ من الصغار، حتى يدخلوا سجنًا فى جهنم، يقال له: بُولَسُ، فتعلوهم نار الأنيار، يسقون من طينة الخبال، عصارة أهل النار» (١).

صفة الناس فى الحشر :

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله - ﷺ -: «تحشرون حفاة عراة غرلاً قالت عائشة - رضى الله عنها - فقلت يا رسول الله: الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: الأمر أشد من أن يهمهم ذاك» (٢).

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قام فينا النبى - ﷺ يخطب فقال: إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً «كما بدأنا أول خلق نعيده» الآية. وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل، وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال، فاقول: يا رب أصيحابى، فيقول: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فاقول كما قال العبد الصالح «وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم - إلى قوله - الحكيم» قال: فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم» (٣).

شدة الكرب فى الحشر :

يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴾ [الحج: ١، ٢].

وعن المقداد بن الأسود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تدنى الشمس يوم

---

(١) رواه أحمد، جـ ١٠، حديث رقم (٦٦٧٧) وإسناده صحيح.
(٢) رواه البخارى: كتاب الرقاق، باب الحشر، حديث رقم (٦٥٢٧).
(٣) رواه البخارى: كتاب الرقاق، باب الحشر، حديث رقم (٦٥٢٦).

القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا، وأشار بيده إلى فيه» (١).

* * *

ما ينفع الناس فى الحشر

بينما الناس فى كرب وشدة، وفزع وهلع، حتى أن بعض الناس يتمنى أن يُصرفوا ولو إلى النار؛ فى هذا الجو العصيب، يُظلُ اللهُ سبعةَ أصناف من الناس فى ظل عرشه. ويخفف عن آخرين ومن ذلك:

١ - فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق فى المساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» (٢).

٢ - وعن كعب بن عمرو رضى الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله فى ظله» (٣).

٣ - وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «من لقم أخاه لقمة صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة» (٤).

---

(١) رواه مسلم: جـ١٧ ص ١٩٦ (شرح النووى) والميل هو المسافة المعروفة، أو هو الميل الذى يكتحل به العين.

(٢) رواه البخارى: جـ ١ ص ١٧٠ (بحاشية السندى).
ورواه مسلم: جـ٧ ص ١٢٠، ص ١٢١، ١٢٢ (شرح النووى).

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٣٠٢).

(٤) رواه الطبرانى.

٤ – وخرج أبو بكر أحمد بن على الخطيب: عن عبد الله بن مسعود: «يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأظمأ ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط وأنصب ما كانوا فمن أطعم لله أطعمه ومن سقا لله سقاه ومن كسا لله كساه، ومن عمل لله كفاه ومن نصر الله أراحه الله فى ذلك اليوم».

٥ – عن أبى هريرة – رضى الله عنه قال: قال رسول الله – ﷺ –: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة» (١).

* * *

(١) رواه مسلم (١٧ / ٢١، ٢٢) الذكر والدعاء.

obeikandl.com

الشفـــاعـــــة

إذا اشتد الكرب بالناس فى الموقف العظيم استشفع الناس إلى الله عز وجل بالرسل والأنبياء أن ينقذهم مما هم فيه، ويعجل لهم فصل القضاء.

والشفاعة لغة: الوسيلة والطلب، **وعرفًا**: سؤال الخير للغير.

وهى تكون من الأنبياء والعلماء العاملين والشهداء الصالحين.

فعن عثمان بن عفان – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء» (١).

أنواع الشفاعة:

أولاً: الشفاعة العظمى: وهى مختصة بالنبى محمد ﷺ فهى المقام المحمود الذى وعده الله. يقول الله تعالى: ﴿**أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٨، ٧٩] وكلمة «عسى» هنا تفيد القطع والوجوب؛ لأنها من كلام الله تعالى لأنه سبحانه وتعالى قادر مقتدر.

وقد فسر الرسول – ﷺ – المقام المحمود بأنه الشفاعة العظمى، فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ فى قوله «عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا» وسئل عنها فقال: «هى الشفاعة» (٢).

وعن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال: «أعطيت خمسًا لم يعطهم أحد قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى المغانم، ولم تحل لأحد قبلى،

---

(١) أخرجه ابن ماجه: فى الزهد، باب ذكر الشفاعة (٢/١٤٤٣ رقم ٤٣١٣).

(٢) أخرجه الترمذى فى تفسير الآية (٨/٥٧٢) وقال: حديث حسن.

وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة »[1].

والمعنى أن الله تعالى أعطى الشفاعة العظمى - المقصودة من الحديث - منة من الله عز وجل على محمد ﷺ، فهى ليست من ذات محمد ﷺ.

وتكون الشفاعة العظمى لإراحة جميع الخلق مسلمهم وكافرهم من طول الموقف وأهواله.

فعن أنس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « يجمع الله الناس يوم القيامة، فيهتمون لذلك - وفى رواية فيلهمون ذلك - فيقولون: لو استشفعنا على ربنا؟ حتى يريحنا من مكاننا هذا؟ قال فيأتون آدم - ﷺ - فيقولون: أنت آدم، أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها، ولكن ائتوا نوحًا، أول رسول بعثه الله. قال: فيأتون نوحًا - ﷺ - فيقول لست هناكم، فيذكر خطيئته التى أصاب، فيستحيى ربه منها. ولكن ائتوا إبراهيم - ﷺ - الذى اتخذه الله خليلاً، فيأتون براهيم - ﷺ - فيقول لست هناكم، ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها، ولكن ائتوا موسى - ﷺ - الذى كلمه الله، وأعطاه التوراة. قال: فيأتون موسى - عليه السلام فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها، ولكن ائتوا عيسى - روح الله وكلمته - فيأتون عيسى روح الله وكلمته، فيقول: لست هناكم، ائتوا محمداً - ﷺ - عبداً قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال: قال رسول الله ﷺ - فيأتونى، فأستأذن على ربى، فيؤذن لى فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً، فيدعنى ما شاء الله، فيقال: يا محمد ارفع رأسك. قل تسمع. سل تعطه. اشفع تشفع. فأرفع

---

(١) أخرجه البخارى: كتاب التيمم، الباب الأول (١/ ٤٣٥) حديث رقم (٣٣٥).

رأسى، فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم أشفع فيحد لى حداً، فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة. قال: فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة قال: فأقول: يا رب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن» (١).

وكما هو واضح لكل ذى عقل أن الشفاعة ليست لله، وليست خروجًا عن أمر الله، بل يسجد ﷺ لله، ثم يسبحه بتسبيحات يلهمه الله إياها.

ثانيا: الشفاعة فى إدخال فريق الجنة بغير حساب، وهى مختصة به ﷺ أيضًا.

وقد ثبتت هذه الشفاعة بإحدى روايات الحديث السابق ولكن من رواية أبى هريرة – رضى الله عنه – «**فأقول: يا رب أمتى أمتى فيقال: يا محمد: أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب**».

ثالثا: الشفاعة فى قوم حوسبوا، فاستحقوا العذاب ألا يعذبوا وهذه الشفاعة ليست خاصة به ﷺ بل يشاركه فيها كل الأنبياء إذا أن شعارهم جميعًا على الصراط «**يا رب سلم سلم**».

رابعا: الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها: ودليله ما جاء فى حديث أنس السابق.

وهى ليست رأيًا لرسول الله ﷺ يخرج من يشاء من النار، وإنما يحد الله له حداً، فيخرجهم من النار.

وهذا النوع من الشفاعة ليس خاصًا بالرسول محمد ﷺ بل يدخل فيه الأنبياء جميعًا، بل والمؤمنون يشفعون لإخوانهم الذين دخلوا النار.

وهذا النوع من الشفاعة، تنكره الخوارج والمعتزلة أشد الإنكار إذ أنهم يحملون الآيات التى وردت فى الكفار على أنها فى عصاة المسلمين، وقد سار فى

---

(١) رواه البخارى: كتاب الرقاق رقم (٦٥٦٥)، رواه مسلم.

ركابهم بعض الذين ليس لهم قدم راسخ فى العلم، من غير المتخصصين فى العلوم الشرعية.

ومن شبهات المنكرين والذين زجوا بأنفسهم فى غير مجالهم:

١ - قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٧].

قلت: المقصود بهؤلاء هم الكفار ويوضح ذلك الآية التى قبلها: إذ يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٦، ٣٧].

والاستدلال بالآية على نفى الشفاعة جهل فاضح.

٢ - قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٧ - ١٠٨].

قلت: هذه الآية أيضًا فى الكافرين الذين كذبوا بآيات الله والآيات التى قبل الآيتين المذكورتين تبين ذلك جيداً، يقول الله تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾.

٣ - قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٧].

قلت: إنها أيضا فى المشركين الذين عبدوا غير الله وتبين الآيات السابقة لهذه الآية ذلك جيداً: يقول تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾

[البقرة: ١٦٥ – ١٦٧]

٤ – قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴾

[الزمر: ١٩]

ومعنى الآية: أن الذين حق عليهم العذاب واستحقوه لا تنفعهم الهداية ولا الشفاعة، والمقصود بهؤلاء أيضًا الكفار يقول تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤].

ثم إن هؤلاء العصاة – من الموحدين – أليس لهم حسنات وعدهم الله عز وجل بأن يوفيهم أجرها، يقول تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ألم يقل الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

ألم يقل الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

٥ – قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾.

فهم يقولون فجميعة الأمر إليه وحده.

نقول: نعم لله الشفاعة جميعًا، فيمن بها على من يشاء ويقبلها ممن يشاء يقول تعالى ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾.

ولو كان المقصود أن الله وحده هو الذى يشفع! فعند من يشفع؟

٦ – قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

فهم يقولون لا تملك أى نفس لأى نفس شيئًا.

قلت: نعم لا تملك نفس لنفس شيئًا، ولكن الشافع إنما يرجو الله ويدعوه، فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجل كل نبى دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة، فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا»(١).

٧ – قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

قلت: الشفاعة ليست مشاركة فى الأمر ولا فى الحكم ولكنها مجرد توسل ودعاء إذا شاء الله قبله، وإذا شاء رده.

٨ – وقد يستدلون بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وهذه الآية – وغيرها – وردتا فى الذين كفروا بمحمد ﷺ من بنى إسرائيل. فيقول الله تعالى قبل الآية المذكورة: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٨، ١٢٢].

٩ – وقد يستدلون أيضًا بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

وبقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

والآيتان تنفيان الشفاعة عن الذين كفروا؛ فآية الشعراء جاء قبلها قوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ

---

(١) رواه مسلم: ١/١٨٩، ورواه البخارى ١٣/٤٤٧ رقم ٧٤٧٤.

﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ * فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء ٩١ - ١٠١].

وكذلك آية المدثر: جاء فيها قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٨] فهذه الآيات هى دليل كاف لإثبات الشفاعة لا لنفيها فهى تثبت وجود الشفاعة، إلا أن الكفار محرومون منها.

ومن أدلة ثبوت الشفاعة:

* قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ...﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فهذه الآية تثبت الشفاعة لمن أذن الله له بها.

* قول الرسول - ﷺ - فى حديث أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - يقول الله عز وجل: «شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حممًا، فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة، يقال له: نهر الحياة» (١).

* قول الرسول ﷺ: «يخرج الله قومًا منتنين، قد محشتهم النار، بشفاعة الشافعين، فيدخلهم الجنة، فيسمون الجهنميون» (٢).

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، ورواه البخارى (رقم ٧٤٣٩).

ومعنى: حممًا: فحمًا، وهم أناس قالوا لا إله إلا الله، ولكن لم يعملوا خيرًا فيعذبهم الله فى جهنم لكن لا يخلدون فيها، بل يخرجهم الله بعقيدة التوحيد.

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح ٥/٤٠٢

من صور الشفاعة:

١ - صلاة الجنازة: وهى نوع من أنواع الشفاعة، ففى الحديث: عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: سمعت النبى - ﷺ - يقول: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا، إلا شفعهم الله فيه» (١).

فهل ينكر أعداء الشفاعة صلاة الجنازة ؟!

وإذا لم تكن صورة من صور الشفاعة ! فماذا تكون إذن؟!

٢ - شفاعة الصيام والقرآن للعبد:

ففى حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله - ﷺ - قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعنى فيه، قال: فيشفعان» (٢).

٣ - شفاعة النبى - ﷺ - لمن مات بالمدينة:

فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى - ﷺ - قال: من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل، فإنى أشفع لمن مات بها» (٣).

٤ - شفاعة سورة الملك: فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ: أنه قال: إن سورة من القرآن، ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهى: «تبارك الذى بيده الملك» (٤).

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه ورواه أبو داود: كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنائز وتشييعها.

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح (٢ / ١٧٤).

(٣) رواه أحمد فى مسنده، وإسناده صحيح، جـ ٧ حديث رقم (٥٤٣٧)، ورواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه (٤ / ٣٧٢ - ٣٧٣).

(٤) رواه أحمد فى مسنده، وإسناده صحيح، جـ ١٥ حديث رقم (٧٩٦٢).

حديث عظيم فى الشفاعة

عن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله – ﷺ: إنه لم يكن نبى إلا له دعوة تنجزها فى الدنيا، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائى، قال: ويطول يوم القيامة على الناس، حتى يقول بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى آدم أبى البشر، فيشفع لنا إلى ربه عز وجل فليقض بيننا، فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون: يا آدم، أنت الذى خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته، فاشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا، فيقول: إنى لست هناكم، إنى قد أخرجت من الجنة بخطيئتى، وإنه لا يهمنى اليوم إلا نفسى، ولكن ائتوا نوحًا رأس النبيين، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا، فيقول: إنى لست هناكم، إنى قد دعوت دعوة غرقت أهل الأرض، وإنه لا يهمنى اليوم إلا نفسى، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الله عليه السلام، قال: فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا، فيقول إنى لست هناكم، إنى قد كذبت فى الإسلام ثلاث كذبات، وإنه لا يهمنى اليوم إلا نفسى، فقال رسول الله ﷺ: إن حاول بهن إلا عن دين الله، قوله (إنى سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله لامرأته: (إنها أختى)، ولكن ائتوا موسى عليه السلام الذى اصطفاه الله برسالته وكلامه، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك، فاشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا، فيقول: إنى لست هناكم، إنى قتلت نفسًا بغير نفس، وإنه لا يهمنى اليوم إلا نفسى، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت روح الله وكلمته، فاشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا، فيقول: إنى لست هناكم، قد اتُّخذت إلهًا من دون الله، وإنه لا يهمنى اليوم إلا نفسى، ثم قال: أرأيتم لو كان متاع فى وعاء قد ختم عليه، أكان يقدر على ما فى الوعاء حتى يفض الخاتم؟ فيقولون: لا، فيقول إن

محمداً – ﷺ – خاتم النبيين قد حضر اليوم، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر، قال رسول الله – ﷺ – فيأتونى، فيقولون: يا محمد، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا، فأقول: نعم، أنا لها، حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى، فإذا أراد الله عز وجل أن يصدع بين خلقه نادى مناد: أين أحمد وأمته؟ فنحن الآخرون الأولون، فنحن آخر الأمم وأول من يحاسب، فتفرج لنا الأمم عن طريقنا، فنمضى غراً محجلين من آثر الطهور، وتقول الأمم: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها، قال: ثم آتى باب الجنة، فآخذ بحلقة باب الجنة، فأقرع الباب، فيقال: من أنت؟ فأقول: محمد، فيفتح لى، فأرى ربى عز وجل وهو على كرسيه، أو سريره، فأخره ساجداً، وأحمده بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلى، ولا يحمده بها أحد بعدى، فيقال: ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، قال: فأرفع رأسى، فأقول: أى رب، أمتى، أمتى، فيقال ليك أخرج من النار من كان فى قلبه مثقال كذا وكذا، فأخرجهم، ثم أعود فأخر ساجداً، وأحمده بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلى، ولا يحمده بها أحد بعدى، فيقال لى: ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسى، فأقول: أى رب، أمتى، أمتى، فيقال: أخرج من النار من كان فى قلبه مثقال كذا وكذا، فأخرجهم، قال: وقال فى الثالثة مثل هذا أيضاً»[1].

* * *

أوهام المفرطين:

إذا كنا قد فندنا بعض شبه المنكرين للشفاعة، فإننا نود أن ننوه إلى الذين يتعلقون بأحاديث الشفاعة، فيتخيلون أن قوانين الجزاء قد بطلت، وأن نار الجحيم تحولها الشفاعة برداً وسلاماً؛ فترى كثيراً من الجهال يفرطون فى الفروض، ويفعلون الموبقات، أليسوا من أمة صاحب الشفاعة؟!

---

(١) رواه أحمد فى مسنده، وإسناده صحيح، جـ ٤، حديث رقم (٢٦٩٢).

أم أن الجزاء حق، وأنه يتناول الذرة من الخير والشر، وقد صرح القرآن بذلك «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره».

وقد ندد القرآن باليهود، لما ظنوا أن الجنة حكر عليهم، فاقبلوا على ملذات العيش الأدنى ينتهبونها ويقولون سيغفر لنا!!

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الاعراف: ١٦٩].

ويقول الله تعالى – للذين يبنون على الشفاعة كل شئ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً﴾ [النساء: ١٢٣].

* * *

obeikandl.com

العـــرض علـــى الله

بعد أن يشفع الرسول – ﷺ – الشفاعة العظمى – لتعجيل القضاء بين الناس، فيقول ﷺ: يا رب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى خلقك فاقض بينهم .. فيقول: شفعتك .. أنا آتيكم فاقضى بينكم. فيرجع الرسول – ﷺ – فيقف مع الناس ... فبينما هم وقوف إذ يسمعون حسًا من السماء شديداً .. فينزل من أهل السماء الدنيا مثل من فى الأرض من الجن والإنس .. حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم .. وأخذوا مصافهم، وقال لهم الناس: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا .. وهو آت .. ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف. حتى ينزل الجبار تبارك وتعالى فى ظلل من الغمام والملائكة .. ويحمل عرشه يومئذ ثمانية .. لهم زجل من تسبيحهم .. يقولون: سبحان ذى العزة والجبروت .. سبحان ذى الملك والملكوت .. سبحان الحى الذى لا يموت .. سبحان الذى يميت الخلائق ولا يموت.

فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه .. ثم يهتف بصوته فيقول: يا معشر الجن والإنس إنى قد أنصت لكم من يوم خلقتكم إلى يومكم هذا .. أسمع قولكم وأرى أعمالكم .. فانصتوا إلى فإنما هى أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم .. فمن وجد خيراً فليحمد الله .. ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم .. ثم يقول:

﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [يس: ٥٩ – ٦٤].

ثم ينادى سبحانه وتعالى: أين الجبابرة وأبناء الجبابرة؟ أين الملوك وأبناء الملوك؟ قصمت الجبابرة بسلطانى وأفنيت الملوك بعظمتى. ثم ينادى جل جلاله: يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون. فإذا سمع الخلق هذا النداء وقالوا كلهم نحن عباد الله ثم ينادى الثانية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٩] فعند ذلك ينكس رأسه كل من لم يكن مسلمًا فتبقى أهل الأديان متحيرين ويفرح المسلمون ثم ينادى الثالثة: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ فينكس أهل الكبائر رؤوسهم ويرفع أهل التوحيد والتوبة رؤوسهم، ثم يؤتى باللوح المحفوظ فيقول الله له: أيها اللوح المحفوظ: ما صنعت بالذى أنزلته فيك! فيقول اللوح المحفوظ: بلغته عبدك ميكائيل ثم يؤتى بميكائيل فيقول الله له: ما صنعت بالوحى الذى بلغ إليك اللوح المحفوظ؟ وهل تشهد له بالتبليغ؟ وأنا أعلم بذلك منك. فيقول ميكائيل: يا رب بلغنى اللوح المحفوظ وبلغته عبدك إسرافيل، ثم يؤتى بإسرافيل: فيقول الله له ما صنعت بالوحى الذى بلغك ميكائيل؟ وهل تشهد له بالتبليغ؟ فيقول إسرافيل عليه السلام: قد بلغته جبريل. ثم ينادى الله: أين جبريل؟ فيؤتى بجبريل فيقول الله تبارك وتعالى يا جبريل: ما صنعت بالوحى الذى بلغك إسرافيل؟ وهل تشهد له بالتبليغ؟ فيقول جبريل عليه السلام: نعم يا سيدى بلغته نبيك نوحًا عليه السلام. فيؤتى بنوح عليه السلام. فيقول الله له يا نوح: ما صنعت بالوحى الذى بلغك جبريل؟ وهل تشهد له بالتبليغ؟ فيقول عليه السلام: نعم يا سيدى وقد بلغته قومى، ثم يدعى بقوم نوح عليه السلام فيقول لهم: ما صنعتم بالوحى الذى بلغكم نوح؟ وهل بلغكم؟ وهل تشهدون له بالتبليغ؟ فيقول قوم نوح: ربنا ما جاءنا من نذير ولا رأيناه. فيقول الله تعالى: يا نوح: هل تجد من يشهد لك أنك بلغت قومك الرسالة؟ فيقول نوح: يشهد لى محمد وأمته. فينادى مناد أين النبى الأمى العربى؟ أين أحمد؟ أين سيد العالمين؟ أين خاتم النبيين والمرسلين؟ فعند ذلك يقوم محمد ﷺ، فيقول له ربه: يا أحمد ما تقول هل بلغ نوح الرسالة إلى قومه: فيقول: نعم يا سيدى ومولاى

قد بلغ وأقام يدعوهم إلى الإيمان ألف سنة إلا خمسين عامًا. فيقول الجبار جل جلاله: صدقت يا أحمد فعند ذلك يفرح نوح عليه السلام ويتهلل وجهه.

فيميز الله الناس. وينادى الأمم داعيًا كل أمة إلى كتابها. والأمم جاثية من الهول. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ * وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٧ - ٢٩] ثم يقضى الله بين العباد، فإذا فرغ من ذلك .. نادى مناد يسمع الخلائق كلهم فقال .. ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله .. فلا يبقى أحد عبد من دون الله شيئًا إلا مثلت له الهيئة بين يديه .. فيجعل الله يومئذ ملكًا من الملائكة على صورة عزير .. ويجعل ملكًا من الملائكة على صورة عيسى .. فيتبع هذا اليهود ويتبع هذا النصارى .. ثم نادتهم آلهتهم إلى النار فهذا الذى يقول الله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ * إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٧ - ٩٩] فإذا لم يبق إلا المؤمنون وفيهم المنافقون .. جاءهم الله فيما شاء من هيئة فقال: يا أيها الناس .. ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون .. فيقولون: والله ما لنا إلا الله، وما كنا نعبد غيره .. فينصرف عنهم - وهو الله - فيمكث ما شاء أن يمكث .. ثم ياتيهم فيقول: يا أيها الناس .. ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون: والله ما لنا إلا الله، وما كنا نعبد غيره .. فيكشف عن ساقه ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون به أنه ربهم .. فيخروا سجداً على وجوههم .. ويخر كل منافق على قفاه .. ويجعل الله أصلابهم كصياصى البقر - أى قرونها - ثم يأذن الله لهم فيرفعون رؤوسهم - وذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا

يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ [القلم: ٤٢ - ٤٣].

يـــوم التـــلاق:

يقول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٤٧ - ٤٨].

ويقول تعالى: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ١٥ - ١٧].

ويقول تعالى: ﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٦ - ١٨]

يقول تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٨].

فها هم البشر جميعًا من أول البشرية إلى قيام الساعة، ها هم جميعًا محشورون، معروضون، بارزون، صامتون، خاشعون، خاضعون فيوئذ يتضاءل المتكبرون، وينزوى المتجبرون، وبينما هم كذلك إذا برب العزة يناديهم: لمن الملك اليوم؟ والملك فى كل وقت وحين هو لله الواحد القهار، ولكن الجبابرة الطغاة كانوا يظنون وهم فى الدنيا أن الملك لهم! كانوا يظنون أنهم آلهة!! ولكن حينما تظهر هذه الآلهة عاجزة أمام كل البشر متضائلة منزوية تنكشف لها الحقائق التى طالما عميت عنها فى الدنيا وفى هذا الموقف العصيب ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ يقول صاحب الظلال - رحمه الله - « فالكل مكشوف. مكشوف

الجسد، مكشوف النفس، مكشوف الضمير، مكشوف العمل، مكشوف المصير، وتسقط جميع الأستار التى كانت تحجب الأسرار، وتتعرى النفوس تعرى الأجساد، وتبرز الغيوب بروز الشهود .. ويتجرد الإنسان من حيطته ومن مكره ومن تدبيره ومن شعوره، ويفتضح منه ما كان حريصًا على أن يستره حتى عن نفسه! وما أقسى الفضيحة على الملأ وما أخزاها على عيون الجموع! أما عين الله فكل خافية مكشوفة لها فى كل آن، ولكن لعل الإنسان لا يشعر بهذا حق الشعور، وهو مخدوع بستور الأرض. فها هو ذا يشعر به كاملاً وهو مجرد فى يوم القيامة. وكل شئ بارز فى الكون كله. الأرض مدكوكة مسواة لا تحجب شيئًا وراء نتوء ولا بروز. والسماء متشققة واهية لا تحجب وراءها شيئًا، والأجسام معراة لا يسترها شئ، والنفوس كذلك مكشوفة ليس من دونها ستر وليس فيها سر! ألا إنه لأمر عصيب. أعصب من دك الأرض والجبال، وأشد من تشقق السماء! وقوف الإنسان عريان الجسد، عريان النفس، عريان المشاعر، عريان التاريخ، عريان العمل، ما ظهر منه وما استتر. أمام تلك الحشود الهائلة من خلق الله، من الإنس والجن والملائكة، وتحت جلال الله وعرشه المرفوع فوق الجميع»[1].

الظالم والمظلوم فى ساحة المحكمة:

يا له من موقف يعرض المتخاصمون فيه على الله ليحكم بينهم، يوم يقف الظالم المتجبر المتكبر المتغطرس؛ أمام الله، وقد تضاءل وصغر، كحشرة صغيرة! يا له من موقف لو تذكره الطغاة، ووعاه الظالمون أما الذين ظُلموا وأوذوا فى الله فقد واتتهم اللحظة التى كانوا طالما تذكروها فكانت عونًا لهم على الصبر والاحتمال، اللحظة التى كانت أملهم الذى يعيشون عليه، حينما قال لهم الله: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣][2].

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٦١٠.

(٢) معنى مهطعين: مسرعين، مقنعى رؤوسهم: وجوههم إلى السماء لا ينظر أحدهم لأحد، لا يرتد إليهم طرفهم: لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، افئدتهم هواء: خالية.

تطـايـر الصحـف

والمراد بالصحف هى الكتب التى كتبتها الملائكة، فسجلت فيها أعمال الناس فى الدنيا، من أقوال وأفعال واعتقادات.

وهذه الصحف لا يأخذها الأنبياء ولا الملائكة، ولا الذين يدخلون الجنة بغير حساب؟ لأنهم لا يحاسبون.

يقول الله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ** ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٩].

وتتحدث هذه الآيات عن صنفين من الناس:

الصنف الأول: يتلقون كتبهم بأيمانهم، وهؤلاء لا يناقشون الحساب، فعن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك»، فقلت يا رسول الله: أليس قد قال الله: ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا** ﴾ فقال رسول الله ﷺ - «إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب» [1] وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إن الله عز وجل يدنى المؤمن، فيضع عليه كنفه، ويستره من الناس، ويقرر بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه،

---

(١) رواه البخارى (١ / ٢٣٧) العلم: باب من سمع شيئًا فراجع حتى يعرفه، ورواه مسلم: كتاب الجنة: إثبات الحساب (٢٨٧٦)، ورواه الترمذى (١١ / ٢٥٨) صفة القيامة، والمقصود بالمناقشة: الاستقصاء فى المحاسبة، والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة.

ورأى فى نفسه أنه قد هلك، قال: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا، وإنى أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فـ« يقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين»[1].

الصنف الثانى: وهم الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم أو من وراء ظهورهم، وهؤلاء يناقشون الحساب، فيسألون عن كل جزئية فيهلك مع الهالكين، ﴿ **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً * وَيَصْلَىٰ سَعِيراً * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً * إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ * بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً** ﴾

[الانشقاق: ١٠ - ١٥]

ويا له من موقف عصيب، حينما يمسك بكتابه، فيقال له: « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا».

ينظر الإنسان فى كتابه، فيجد تاريخه الذى سطره بأعماله، يقرأ، ويتذكر، ولا يستطيع أن ينكر منه شيئًا.

* * *

(١) رواه البخارى ومسلم، ورواه أحمد فى المسند جـ٧، حديث رقم (٥٤٣٦).

الحســـــاب

وهو توقيف الله – سبحانه وتعالى – عباده قبل الإنصراف من المحشر على أعمالهم أقوالاً وأفعالاً واعتقاداً تفصيلاً بعد أخذهم كتبهم، وكيفيته من الأمور الغيبية التى لم يرد ما يدل عليه.

حكمة الحساب: يعلم الله تعالى بأعمال العباد، ولكن الحساب إظهار لفضل المتقين وفضيحة للفجار على رؤوس الأشهاد، ليُسرَ المتقون، ويُساءَ الفجار المجرمون.

يقول الله تعالى: ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً** ﴾ [الكهف: ٤٩].

فها هم المجرمون يُوَاجَهون بتاريخهم الأسود الذى سطروه فى حياتهم الدنيا، فحينئذ يعرفون المصير الذى ينتظرهم فيساءون أما المؤمنون فيفرحون حينما ينادى الله تبارك وتعالى: يا عبادى أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، أحضروا حجتكم، ويسروا جوابكم، فإنكم مسئولون، محاسبون، يا ملائكتى أقيموا عبادى صفوفًا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب».

أول من يحاسب:

عن ابن عباس – رضى الله عنهما – عن النبى – ﷺ – قال: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون»(١).

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٩٠) الزهد، وإسناده صحيح.

ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة:

١ – أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر العمل، وإن فسدت فسد سائر العمل؛ وأول ما يقضى فيه بين الناس الدماء.

فعن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، وأول ما يقضي بين الناس الدماء» (١).

٢ – يحاسب العبد ويُسأل عن جوارحه، هل حفظها، وأدى شكر الله فيها أم لا؟

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

٣ – يحاسب العبد على عمره، كيف قضاه؟ وعن شبابه فيم أهلكه؟ وعن ماله كيف اكتسبه؟ وكيف أنفقه.

فعن أبى برزة – رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به» (٢).

٤ – يحاسب العبد على نعم الله التى أنعم بها عليه، هل شكرها؟ أم جحدها؟ وحارب الله بنعمه عليه؟.

يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: لما نزلت هذه الآية، قال الناس:

---

(١) رواه النسائى.

(٢) رواه الترمذى (٩/٢٥٣) صفة القيامة، وقال حسن صحيح، وحسنه الألبانى لشواهده فى الصحيح، ورواه البزار والطبرانى عن معاذ بن جبل وإسناده صحيح.

يا رسول الله: عن أى نعيم نسأل؟! فإنما هما الأسودان والعدو حاضر، وسيوفنا على عواتقنا، قال: إن ذلك سيكون» (١).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «إن أول ما يسأل عنه - العبد - يوم القيامة، من النعيم أن يقال له: ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد»؟! (٢).

ويقول عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول الله له يا ابن آدم: ما غرك بى؟ يا ابن آدم: ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ يا ابن آدم: ألم أكن رقيبًا على عينيك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك؟ ألم أكن رقيبًا على أذنيك؟ وهكذا جوارحه كلها.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال: يقول الله تعالى - يوم القيامة - «يا ابن آدم: حملتك على الخيل والإبل وزوجتك النساء، وجعلتك تربع وترأس، فأين شكر ذلك؟» (٣).

القصاص ورد المظالم:

تتحقق العدالة المطلقة يوم الحساب، فيعطى كل ذى حقه، فيؤخذ الحق من الظالم ليعطى للمظلوم.

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «لتؤدون الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» (٤).

---

(١) رواه الترمذى، والأسودان: هما التمر والماء، وقوله: «إن ذلك سيكون» له توجيهان: الأول: أنكم ستسألون عنهما (التمر والماء) والثانى: أن الله سيعطيكم النعم ثم تسألون عنها.

(٢) أخرجه الترمذى (جـ ٥ / ٣٣٥٨)، وصححه الألبانى فى الصحيح (٢ / ٥٣٩) ومعنى: ألم نصح لك جسمك: ألم نجعله معافى سليمًا؟
ونروك من الماء البارد: وننعم عليك بحاجتك منه.

(٣) رواه أحمد وإسناده صحيح، وهو فى كنز العمال (جـ ٣ / ٦٤٨٦) معزوا للبيهقى فى شعب الإيمان. ومعنى: ترأس: تصير رئيسًا، تربع: تأخذ ربع الغنيمة.

(٤) رواه مسلم: كتاب البر والصلة - باب تحريم الظلم جـ ١٦ ص ١٣٦ النووى ورواه الترمذى (٩ / ٢٥٥) الزهد.

ويقول ﷺ: «لتؤدون الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، ويسأل الحجر لِمَ انكب على الحجر؟ ولِمَ نكأ الرجل الرجل؟ (جرحه).

قال: وكنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول: كنت ترانى على الخطأ وعلى المنكر ولا تنهانى» (١).

ويقول عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - يؤخذ بيد العبد - أو الأمة - فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادى مناد: هذا فلان ابن فلان فمن كان له حق فليأت إلى حقه فتفرح المرأة بأن يدون لها الحق على ابنها أو أختها أو ابنها أو على زوجها، فيقول الله تعالى للعبد: إيت هؤلاء حقهم، فيقول: يارب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم؟ فيقول للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة فاعطوا كل إنسان بقدر طلبته فإن فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل من خير ضاعفها حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الرعد: ٤١].

وإن كان عبداً شقياً قالت الملائكة: رب فنيت حسناته، وبقى طالبون، فيقول للملائكة: خذوا من أعمالهم السيئة فاضيفوها إلى سيئاته، وصكوا له صكاً إلى النار،

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار» (٢).

---

(١) رواه مسلم والترمذى.

(٢) رواه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (جـ ١٦ ص ١٣٥) شرح النووى، ورواه أحمد فى المسند جـ ١٥ - حديث رقم (٨٠١٦).

الشهود على الإنسان يوم القيامة:

يشهد على العاصي يوم القيامة أحد عشر شاهداً: اللسان، والأيدى، والأرجل، والسمع، والبصر، والجلد، والأرض، والليل والنهار، والحفظة الكرام، والمال، فضلاً عن الشهداء من الناس.

يقول الله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [يس: ٦٥].

ويقول تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النور: ٢٤].

ويقول تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [فصلت: ١٩ - ٢٣].

وعن أنس - رضى الله عنه - قال: « كنا عند النبى ﷺ فضحك فقال: أتدرون مما أضحك؟ فقلنا الله ورسوله أعلم. فقال: من مخاصمة العبد ربه، فيقول: يارب ألم تجرنى من الظلم. قال: فيقول: بلى. فيقول: فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقى فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول - يعنى لأعضائه - بعداً وسحقاً، لكن، فعنكن كنت أجادل » (١).

---

(١) رواه مسلم: كتاب الزهد جـ١٨

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قرأ رسول الله ﷺ: «يومئذ تحدث أخبارها» فقال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن أخبارها أن تشهد على عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها»(١).

وعن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال: «إن هذا المال خضرة حلوة، ونعم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل، وإنه من يأخذ بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع، ويكون شهيداً عليه يوم القيامة»(٢).

وروى فى الحديث أنه ما من يوم يأتى على ابن آدم إلا ينادى فيه: يا ابن آدم: أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل عليك شهيد. فاعمل خيراً أشهد لك به غداً، فإنى لو مضيت لن ترانى أبداً، ويقول الليل مثل ذلك»(٣).

ويقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا:

حرى بالإنسان، وقد علم أنه مسئول أمام الله تعالى، ومحاسب على كل شىء؛ والشهود عليه كثيرون، حرى به أن يتحلل من المظالم فى الدنيا؛ قبل ألا يكون درهم أو دينار، يقول عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية»(٤).

فينبغى على العاقل أن يسأل نفسه ويحاسبها عن كل لحظة من عمره ليعرف أتكون فى حسناته أم سيئاته؟

يقول على – رضى الله عنه –: «من أمضى يومه فى غير حق قضاه أو فرض أداه، أو مسجد بناه، أو حمد حصله، أو علم اقتبسه، فقد يومه وظلم نفسه».

---

(١) رواه الترمذى، جـ ٤ حديث رقم (٢٤٢٩) وقال حسن صحيح.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه أبو نعيم فى الحلية.
(٤) رواه الترمذى (٩/ ٢٨٢) صفة القيامة.

فضل الله وكرمه:

عن عائشة – رضى الله عنها – كانت تقول: قال رسول الله ﷺ: «سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل أحد الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته» (١).

وروى الطبرانى عن واثلة بن الأسقع – رضى الله عنه – عن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الله يوم القيامة عبداً لا ذنب له. فيقول الله: أى الأمرين أحب إليك؟ أن أجزيك بعملك أو بنعمتى عندك؟ قال: يارب: إنك تعلم أنى لم أعصك.. قال: خذوا عبدى بنعمة من نعمى فما تبقى له حسنة إلا استغرقتها تلك النعمة، فيقول: رب بنعمتك ورحمتك، فيقول بنعمتى ورحمتى».

وروى البزار عن أنس – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان فيه العمل الصالح، وديوان فيه ذنوبه، وديوان فيه النعم من الله عليه، فيقول الله – عز وجل – لأصغر نعمة خذى ثمنك من عمله الصالح فتستوعب عمله الصالح، ثم تنحى وتقول وعزتك وجلالك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل الصالح، فإذا أراد الله أن يرحم عبداً قال: ياعبدى قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك، ووهبت لك نعمى».

الذين يدخلون الجنة بغير حساب:

عن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – قال: قال النبى ﷺ: «عرضت علىَّ الأمم، فأخذ النبى يمر معه الأمة، والنبى يمر معه النفر، والنبى يمر معه العشرة، والنبى يمر معه الخمسة، والنبى يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: ياجبريل هؤلاء أمتى؟ قال: لا ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب. قلت:

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون. فقام إليه عكاشة بن محصن فقال:

ادع الله أن يجعلنى منهم. قال: اللهم اجعله منهم. ثم قام إليه رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم. قال: سبقك بهاعكاشة» (١).

* * *

الحـــوض

جعل الله تعالى لكل رسول حوضاً يرده الطائعون من أمته، وحوض النبى محمد ﷺ أكبرها وأعظمها.

صفته: يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية، بعد أن ساق أحاديث الحوض: «والذى يتخلص من الأحاديث الواردة فى صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذى هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو فى غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر. وفى بعض الأحاديث: أنه كلما شرب منه وهو فى زيادة واتساع، وأنه ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب، ويثمر الجواهر، فسبحان الخالق الذى لا يعجزه شىء» (٢).

فعن أنس – رضى الله عنه – قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: أنزلت علىَّ آنفاً سورة فقرأ:

---

(١) رواه البخارى: كتاب الرقاق – باب: يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، حديث رقم (٦٥٤١).

ومعنى لا يكتوون: لا يستخدمون الكى بالنار، لا يسترقون: لا يطلبون الرقية من أحد، لا يتطيرون: لا يتشاءمون كما كانوا فى الجاهلية.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ [الكوثر].

ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال:

«فإنه نهر وعدنيه ربى عز وجل، عليه خير كثير هو حوضٌ تَرِدُ عليه أمتى يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فَيُخْتَلَجُ العبدُ منهم فأقول: رب إنه من أمتى فيقولُ: ما تدرى ما أحدَثْتَ بعدك» (١).

وعن عبد الله بن عمرو – رضى الله عنه – قال: قال النبى ﷺ حوضى مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً» (٢).

وعن أنس – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ إن قدر حوضى كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء» (٣).

الذين يُصرفون عن الحوض:

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «بينا أنا نائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلمَّ، فقلت أين؟ قال: إلى النار والله، قلت وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى. ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلمَّ، قلت أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم» (٤).

---

(١) رواه مسلم والنسائى..
ومعنى يُختَلجُ: يُنْتَزعُ ويُقْتَطَعُ.
(٢) رواه البخارى: كتاب الرقاق، باب فى الحوض، حديث رقم (٦٥٧٩).
(٣) رواه البخارى: كتاب الرقاق، باب فى الحوض، حديث رقم (٦٥٨٠).
(٤) رواه البخارى: كتاب الرقاق، باب فى الحوض، حديث رقم (٦٥٨٧)، ومعنى همل النعم: الإبل التى بلا راع.

ويقول ﷺ: «أنا فرطكم علي الحوض، ومن ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً وليردَنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوننى، ثم يحال بينى وبينهم. فيقول ﷺ إنهم أمتى، فيقال: إنك لا تدرى ما عملوا بعدك، فاقول: سُحقاً سُحقاً لمن بدل بعدى»(١).

وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى ممسك بحجزكم عن النار: هَلُمَّ عن النار، وتغلبوننى تقاحمون فيه تقاحم الفراش أو الجنادب، فاوشك أن أرسل بحجزكم، وأنا فرطكم على الحوض، فتردون على معاً واشتاتاً، فاعرفكم بسيماكم وأسمائكم، كما يعرف الرجل الغريبة من الإبل فى إبله، ويُذهَب بكم ذات الشمال، وأناشد فيكم رب العالمين فاقول أى رب أمتى!! فيقول: يامحمد! إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، إنهم كانوا يمشون بعدك القهقهرى على أعقابهم، فلا أعرفن أحدكم يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء، فينادى: يامحمد! فاقول لا أملك لك شيئاً، قد بلغتك، فلا أعرفن أحدكم يأتى يوم القيامة يحمل بعيراً له رغاء، فينادى: يامحمد يامحمد! فاقول: لا أملك لك شيئاً، قد بلغتك، فلا أعرفن أحدكم يأتى يوم القيامة يحمل فرساً له حَمْحَمَةٌ فينادى: يامحمد يامحمد! فاقول: لا أملك لك شيئاً قد بلغتك، فلا أعرفن أحدكم يوم القيامة يحمل سقاء من أدَم ينادى: يامحمد يامحمد! فاقول: لا أملك لك شيئاً، قد بلغتك»(٢).

ويؤخذ من هذه الأحاديث أن من الذين يصرفون عن الحوض:

١ - الذين ابتدعوا فى الدين بالزيادة والنقصان.

٢ - الذين حادوا عن المنهج الذى جاء به الرسول ﷺ.

٣ - المنافقون الذين تظاهروا بالإسلام وابطنوا الكفر.

---

(١) رواه مسلم، جـ ١٥، ص ٥٣، ٥٤ (شرح النووى).

(٢) رواه البزار بإسناد حسن (١/ ٩٠٠)، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٧٨٢). ومعنى حمحمة: صوت الفرس. الرغاء: صوت البعير، الثغاء: صوت الغنم. القشع: القربة اليابسة.

٤ – الذين كانوا يسرقون من الأموال العامة (الغلول).

﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

أعوان الظلمة لا يردون الحوض :

فعن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لا يفعلون، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم؟ فليس منى ولست منه، ولن يرد على الحوض» (١).

* * *

الميزان

يقول الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ويقول تعالى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٨ – ٩].

ويقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٦ – ٩].

والراجح من الأقوال أنه ميزان حقيقى، له كفتان، وأن الله تعالى يحول أعمال العباد إلى أجسام لها ثقل، فتوضع الحسنات فى كفة، والسيئات فى كفة.

وعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – مرفوعاً – قال: ملك موكل بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتى الميزان.. فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق: شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً» (٢).

---

(١) رواه أحمد فى مسنده، بإسناد صحيح (جـ ٨ حديث رقم ٥٧٠٢).

(٢) رواه البيهقى والبزار.

ما يثقل ميزان العبد يوم القيامة:

هناك من الأعمال ما قد يحتقره الإنسان وهو فى ميزان الله عظيم، ومن ذلك:

١ – التسبيح والتحميد: يقول رسول الله ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» (١).

فالله عز وجل كريم جواد، يجود بكرمه وبفضله على العبد المخلص، فيجزل له العطاء ويثقل به موازينه.

٢ – الصلاة على النبى ﷺ فقد روى القشيرى فى تفسيره: «إذا خفت حسنات المؤمن أخرج – رسول الله ﷺ – بطاقة كاملة.. فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجح الحسنات.. فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى ﷺ: بأبى أنت وأمى.. ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك.. فمن أنت؟

فيقول: أنا محمد نبيك.. وهذه صلواتك التى كنت تصلى على قد وفيتك أحوج ما تكون إليها».

٣ – النطق بشهادة التوحيد: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله – عز وجل – يستخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ قال: لا يارب. قال: أفلك عذر أو حسنة؟ قال: فيهاب الرجل فيقول لا يارب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ فيقول: أحضروه فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول: إنك لا تظلم: فتوضع السجلات فى كفة

---

(١) رواه البخارى: كتاب الدعوات جـ ١١، عن أبى هريرة، ورواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء جـ ١٧، عن أبى هريرة.

والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم »[1].

ما كان لغير الله: قد يعمل الإنسان عمل الخير وهو لا يريد به وجه الله تعالى – رياءً – وقد يعمل العمل على غير إيمان بالله تعالى، فلا يقيم الله لهؤلاء ولا لهؤلاء وزناً. يقول تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان: ٢٣].

ويقول أبو سعيد الخدرى: يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئاً.

* * *

الصراط

والصراط هو الجسر المنصوب على جهنم ليمر الناس فوقه بعد انصرافهم من الموقف بعد الحساب والميزان، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح العاصف، وناس كالجواد، وناس يهرولون، وناس يحبون، وناس يزحفون، وناس يتساقطون فى النار، وعلى جوانبه كلاليب، لا يعلم عددها إلا الله تخطف بعض الخلائق والمرور على الصراط عام لكل الناس: الأنبياء والصديقين والمؤمنين، والكفار، ومن يحاسب ومن لا يحاسب.

فمن كان مستقيماً على دين الله فى الدنيا استقام على الصراط فى الآخرة يقول الله تعالى: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا** ﴾ [مريم: ٧١ – ٧٢].

وقد روى الحاكم عن قيس بن أبى حازم قال: كان عبد الله بن رواحة واضعاً رأسه فى حجر امرأته فبكى فبكت امرأته. فقال ما يبكيك قالت: رأيتك تبكى

---

(١) رواه الترمذى (١٠/١٠٧) فى كتاب الإيمان وقال: حسن غريب، ورواه ابن ماجه (٤٣٠٠)، ورواه الحاكم (١/٥٢٩) وصححه ووافقه الذهبى على تصحيحه وصححه الألبانى فى الصحيحة (١/٤٣، ٤٤).

فبكيت. قال: إنى ذكرت قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ولا أدرى أنجو منها أم لا؟

وعن أم مبشر الأنصارية – رضى الله عنها – أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة – رضى الله عنها – : «لا يدخل النار – إن شاء الله – من أهل الشجرة أحد – (الذين بايعوا تحتها)».

قالت: بلى يارسول الله.. فانتهرها.. فقالت حفصة «وإن منكم إلا واردها. فقال النبى ﷺ: قد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (١).

صفة الصراط:

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – «... ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم، فأكون أنا وأمتى أول من يجيزها، ولا يتكلم إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يارسول الله، قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبَقُ بعمله والموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه» (٢).

وفى حديث أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – «... ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهرى جهنم. قلنا يارسول الله ما الجسر؟ قال مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها

---

(١) رواه مسلم: انظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص ٥٧، ورواه ابن ماجه (٤٢٨١) الزهد.

(٢) رواه البخارى جـ ١١، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم رقم (٦٥٧٣) ورواه مسلم جـ ١، والسعدان: نبات ذو شوك، الموبق: الهالك، الموثق، من الوثاق، المخردل: المقصود أن الكلاليب تقطعه فيهوى فى النار.

السعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح وكأجاويد الخيل، والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس فى نارجهم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً»[1].

عند الصراط لا يذكر أحد أحداً:

عن عائشة – رضى الله عنه – أنها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: أما فى ثلاث مواطن فلا يذكر أحد أحداً. عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل؟ وعند الكتاب حيث يقال: «هاؤم اقرءوا كتابيه» حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهرى جهنم حتى يجوز»[2].

القنطرة بين الجنة والنار: إذا عبر المؤمنون الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص من بعضهم لبعض، فإذا هذبوا أذن لهم فى دخول الجنة.

فعن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله فى الدنيا»[3].

وروى الطبرانى عن أبى أمامة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم بين الظلمة والوعرة.. لقيه المظلوم فعرفه وعرف ما ظلمه به فما يبرح الذين ظُلموا يقصون من الذين ظلموا حتى ينزعوا ما فى أيديهم من الحسنات فإن لم يكن لهم حسنات رد عليهم من سيئاتهم حتى يوردوا الدرك الأسفل من النار».

---

(١) رواه الحاكم (٤/٥٨) وقال صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه البخارى: كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، حديث رقم (٦٥٣٥).

حوار بين المؤمنين والمنافقين:

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٢، ١٤].

* * *

أصحاب النار وأصحاب الجنة

يقول الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ١٨، ٢٠].

ويقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

ويقول تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

ويقول تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥].

فهذه الآيات تبين أن أصحاب الجنة وأصحاب النار مختلفون فى الجزاء؛ لأنهم كانوا مختلفين فى العمل.

فهم مختلفون فى السلوك، مختلفون فى الوجهة، مختلفون فى المنهج،

مختلفون في الاهتمامات، مختلفون في الطباع، مختلفون في أهدافهم وغاياتهم؛ ومن ثم فلا بد وأن يختلفوا في المصير والمآب، لذا فإن لهؤلاء صفات ولهؤلاء صفات.

أولاً : صفات أصحاب الجنة :

يقول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: ٣٢].

ويقول تعالى: ﴿ **سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾ [الزمر: ٧٢].

ويقول تعالى: ﴿ **وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ** ﴾ [النور: ١٦].

فالله سبحانه وتعالى جعل الطيب بحذافيره في الجنة، وجعل الخبيث بحذافيره في النار، فجعل الدور ثلاثة: داراً أخلصت للطيبين وهي حرام علي غيرهم، وقد جمعت كل طيب، وهي الجنة وداراً أخلصت للخبيثين فلا يدخلها إلا هم، وهي النار، وداراً امتزج فيها الطيب والخبيث وخلط بينهما وهي دار الدنيا.

يقول الله تعالى: ﴿ **تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا** ﴾ [مريم:٦٣].

ولأصحاب الجنة صفات شخصية، يتميزون بها عن غيرهم ومن هذه الصفات الشخصية:

١ – يقول تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١ – ١١].

ولقد سُئلت عائشة – رضى الله عنها – عن خلق رسول الله ﷺ – فقالت: كان خلقه القرآن، ثم قرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾. وقالت: هكذا كان رسول الله ﷺ(١).

٢ – عن على – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة غرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها، فقام أعرابى فقال: لمن هى يارسول الله؟ قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام» (٢).

٣ – عن عياض بن عمار المجاشعى، أن رسول الله ﷺ قال يوماً فى خطبته «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى، ومسلم عفيف ضعيف متضعف ذو عيال» (٣).

٤ – عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – عن رسول الله ﷺ قال: «هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تُسَدُّ بهم الثغورُ، ويُتَّقى بهمُ المكارهُ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاءً، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيُّوهم، فتقول الملائكة: «نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن تَأتىَ هؤلاء فنسلم عليهم؟

قال: إنهم كانوا عباداً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً وتُسَدُّ بهم الثغور، ويتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب: «سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» (٤).

---

(١) رواه النسائى.

(٢) رواه أحمد (٥/٣٤٣)، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١١٩).

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد فى مسنده، وإسناده صحيح (جـ ١٠/٦٥٧٠).

٥ – عن عبد الله بن عمرو – رضى الله عنهما – قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن أول ثلة تدخل الجنة لَفقراء المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره، وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا وإذا كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض له حتى يموت وهى فى صدره، وإن الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها» فيقول:

أى عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وقتلوا، وأوذوا فى سبيلى، وجاهدوا فى سبيلى، أدخلوا الجنة فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب» (١).

٦ – عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن، وضرائهن وسرائهن، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن. فقال رجل: أو ثنتان يارسول الله. قال: أو ثنتان. فقال رجل: أو واحدة يارسول الله. قال: أو واحدة» (٢).

٧ – عن أبى هريرة – رضي الله عنه – أن أعرابياً جاء إلى النبى ﷺ فقال: دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان قال: والذى نفس محمد بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً، ولا أنقص منه، فلما ولى قال النبى ﷺ من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا (٣).

٨ – وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «إذا عاد المسلم أخاه، أو زاره قال الله عز وجل: طبت وطاب ممشاك وتبوأت فى الجنة منزلاً» (٤).

---

(١) رواه أحمد فى مسنده، وإسناده صحيح (جـ ١٠/ ٦٥٧١).

(٢) رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح، جـ ١٦، حديث رقم (٨٤٠٦)، واللأواء: الشدة، الضراء: الشدة أيضاً، السراء: الرخاء.

(٣) رواه أحمد فى المسند، وإسناده صحيح جـ ١٦، حديث رقم (٨٤٩٦).

(٤) رواه أحمد فى المسند، وإسناده حسن جـ ١٦، حديث رقم (٨٥١٧).

٩ – وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: « .... وسئل عن أكثر ما يلج الناس به الجنة، فقال رسول الله ﷺ: حسن الخلق» (١).

١٠ – عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: « دخل عبد الجنة بغصن شوك على ظهر طريق المسلمين فأماطه عنه» (٢).

١١ – عن أبى هريرة – أو أبى سعيد – (الشك من الأعمش الراوى عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله ملائكة سياحين فى الأرض، فضلاً عن كتاب الناس، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى بغيتكم، فيجيئون، فيحفون بهم إلى السماء الدنيا، فيقول الله: أى شىء تركتم عبادى يصنعون؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك، فيقول: هل رأونى؟ فيقولون: لا، فيقول: فكيف لو رأونى؟ فيقولون: لو رأوك لكانوا أشد تحميداً وتمجيداً وذكراً، فيقول: فأى شىء يطلبون؟ فيقولون: يطلبون الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا، فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقول: لو رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، قال: فيقول ومن أى شىء يتعوذون؟ فيقولون: من النار، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا، قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها هرباً، وأشد منها خوفاً، قال: فيقول: إنى أشهدكم أنى قد غفرت لهم، قال: فيقولون: فإن فيهم فلاناً الخطاء، لم يردهم، إنما جاء لحاجة، فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» (٣).

لا يدخل الجنة أحد بعمله :

لا يظن أحد أن هذه الأعمال – وحدها – تضمن لصاحبها الجنة !! بل لابد من فضل الله وكرمه وجوده على العبد فيقبل منه أعماله هذه ويدخله الجنة. ويضرب لنا رسول الله ﷺ المثل فى ذلك فيقول: «لن يُدخِلَ أحداً منكم عملهُ

---

(١) رواه أحمد فى المسند، وإسناده صحيح جـ ١٥، حديث رقم (٧٨٩٤).
(٢) رواه أحمد فى المسند، وإسناده صحيح جـ ١٨، حديث رقم (٩٢٣٥).
(٣) رواه أحمد فى المسند، وإسناده صحيح جـ ١٣، حديث رقم (٧٤١٨).

الجنةَ، قالوا:: ولا أنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله منه بفضل ورحمة» (١).

أقرب طريق إلى الجنة :

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

فاقرب طريق إلى الجنة طريق الجهاد فى سبيل الله، طريق الشهادة من أجل العقيدة ذلك أن الشهيد يدفع ثمن الصفقة مرة واحدة بدلاً من أن يدفع على دفعات؛ لذا فإن الله يفى له بوعده إياه بالجنة بمجرد أن يدفع !

وفى غزوة بدر، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة، وقال وهو يحضهم على القتال: قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وحينئذ قال العمير بن الحمام: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قولك بخ بخ؟ قال: لا، والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها. فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: أنا إن حببت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل» (٢).

---

(١) رواه أحمد فى المسند، وإسناده صحيح جـ ١٤، حديث رقم (٧٥٧٧).

(٢) رواه مسلم.

وفى غزوة أحد، حينما انكشف جيش المسلمين – بمخالفة الرماة – وأشيع أن رسول الله ﷺ قد قتل، وانهارت الروح المعنوية لكثير من الجنود وتوقف بعضهم عن القتال، وبينما هم كذلك مر بهم أنس بن النضر، وقد ألقوا بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ، قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثم قال: اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعنى المسلمين، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعنى المشركين، ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أين أبا عمر؟ فقال أنس: واها لريح الجنة ياسعد، إنى أجده دون أحد، ثم مضى فقاتل القوم حتى قتل، فما عرف حتى عرفته أخته – بعد نهاية المعركة – ببنانه، وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم» (١).

ثانياً: صفات أصحاب النار:

هذه الدار جعلها الله للخبيثين من الكفار والمشركين، وأصحاب الشهوات والشبهات من العصاة الفاسقين.

يقول تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

ويقول تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ١٩ – ٢٢].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

---

(١) زاد المعاد (٢/٩٣، ٩٦)، صحيح البخارى (٢/٥٧٩).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: «قال النبى ﷺ تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟

فقال تعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادى، وقال للنار: أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها»(١).

فالمتكبرون والمتجبرون هم أهل النار وأصحابها الذين جعلوا لها وجعلت لهم، عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة أرسل جبريل إلي الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. قال فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها قال: فرجع إليه وقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. قال: فأمر بها فحفت بالمكاره فقال: فارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها قال: فرجع إليها فإذا هى قد حفت بالمكاره فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد. قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فإذا هى يركب بعضها بعضاً فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفت ألا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات فقال ارجع إليها فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها»(٢).

وعن أنس – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»(٣).

وجاء فى حديث عياض بن عمار المجاشعى أن رسول ﷺ قال: «.... وأهل النار خمسة: الضعيف الذى لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلاً ولا

---

(١) رواه البخارى: جـ٦ ص ١٧٣، ومعنى أوثرت: اختصصت، سقطهم: ضعفاؤهم، ورواه مسلم.

(٢) أخرجه الترمذى، وقال حديث حسن صحيح (جـ٤ / ٢٥٦٠)، وأخرجه أبو داود فى سننه (جـ٤ / ٤٧٤٤)، ورواه النسائى فى سننه جـ٧ ص ٣).

(٣) رواه مسلم: جـ١٧، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ورواه الترمذى: كتاب صفة الجنة، حديث رقم (٢٥٥٩).

مالاً، والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش»[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال عند ذكر أهل النار: كل جَعْظَرِيّ جَوَّاظٍ مستكبر، جَمَّاعٍ مَنَّاعٍ[2].

وروى الطبرى فى تفسيره عبرة الإسراء والمعراج: أن الرسول ﷺ مر فى ليلة الإسراء والمعراج على واد بين فى أحدهما الجنة بغرفها وحسنها، وفى ثانيهما النار بشرها وحرها.. وقد قالت الجنة: يارب ائتنى ما وعدتنى فقد كثرت غرفى، وحريرى وإستبرقى، وسندسى وعبقريى، ولؤلئى، ومرجانى، وفضتى، وذهبى، وصحافى، وأكوابى، وأباريقى، وكؤسى وعسلى، ومائى، ولبنى، وخمرى.. فائتنى ما وعدتنى.. فقال الله عز وجل: لك كل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بى وبرسولى وعمل صالحاً، ولم يشرك بى شيئاً، ولم يتخذ من دونى أنداداً، ومن خشينى فهو آمن، ومن سألنى أعطيته، ومن أقرضنى جزيته، ومن توكل على كفيته.. إنى أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد، قد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين.. فقالت قد رضيت.

أما جهنم فقالت: (رب أئتنى ما وعدتنى. فقد كثرت سلاسلى، وأغلالى، وسعيرى، وضريعى، وغساقى، وقد بعد غورى، واشتد حرى.. فقال الله عز وجل: لك كل مشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وكل خبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب.. فقالت: قد رضيت).

وعن عبد الله بن عمرو – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: «ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[3].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد فى المسند جـ ١٠، حديث رقم (٦٥٨٠) وإسناده صحيح، والجعظرى: الفظ الغليظ المتكبر، الجواظ: الجموع المنوع.

(٣) رواه أحمد فى مسنده، وإسناده صحيح، جـ ١٠، حديث رقم (٦٥٩٢).

وعن أبى هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إلا شقى، قيل: ومن الشقى؟ قال: الذى لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية»(١).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: صنفان من أهل النار لا أراهما بعد: نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رءوسهن مثل أسنمة البخت المائلة لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها، ورجال معهم أسواط كأذناب البقر يضربون بها الناس» (٢).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يريد بها بأساً يهوى بها سبعين خريفاً فى النار»(٣).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يلج الناس به النار؟ فقال: «الأجوفان: الفم والفرج، وسئل عن أكثر ما يلج الناس به الجنة، فقال رسول الله ﷺ: حسن الخلق»(٤).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ يعنى قال الله – تعالى –: «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً منهما أدخلته جهنم»(٥).

* * *

لا يخلد فى النار موحد

اعلم أن من مات على التوحيد – ولو ارتكب الكبائر – لا يخلد فى النار، أما من مات على الشرك والكفر فإنه لا يخرج منها أبداً، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده، وإسناده صحيح، جـ١٦، حديث رقم (٨٥٧٨).

(٢) رواه أحمد فى مسنده، جـ١٦، حديث رقم (٨٦٥٠)، وإسناده صحيح ورواه مسلم فى صحيحه.

(٣) رواه أحمد فى مسنده، جـ١٥، حديث رقم (٧٩٤٥)، وإسناده صحيح.

(٤) رواه أحمد فى مسنده، وإسناده صحيح، جـ١٥، حديث رقم (٧٨٩٤).

(٥) رواه أحمد فى مسنده، وإسناده صحيح، جـ١٧، حديث رقم (٨٨٨١).

وهذا مقتضى العدالة الإلهية، ألا يسوى بين المسلم الذى أقر له بالوحدانية ولرسوله بالرسالة، ولكن غلبت عليه شقوته فارتكب بعض الكبائر – دون أن يستحلها – وبين المشرك الذى اتخذ مع الله آلهة أخرى، ومما لا شك فيه أن أكبر الكبائر الإشراك بالله، فينبغى ألا يتساوى عقاب الشرك مع عقاب أى ذنب آخر. فهب أن رجلين أحدهما قتل نفساً بغير حق، والآخر لطم رجلاً على وجهه فهل يتساوى العقاب فى الحالتين؟!

إذا كانت عدالة البشر تقضى ألا تتساوى العقوبات بتفاوت الجنايات، فكيف بالعدالة الإلهية !!، ثم إن الله تعالى يقدر العقاب بعلمه وعدالته، وقد يعفو بفضله ومنته.

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – : « والمقصود أن الله – سبحانه وتعالى – جعل للسعادة والشقاوة عنواناً يعرفان به، فالسعيد الطيب لا يليق به إلا طيب، ولا يأتى إلا طيباً ولا يصدر منه إلا طيب، ولا يلابس إلا طيباً، والشقى الخبيث لا يليق به إلا الخبيث، ولا يأتى إلا خبيثاً، ولا يصدر منه إلا الخبيث، فالخبيث يتفجر من قلبه الخبث على لسانه وجوارحه، والطيب يتفجر من قلبه الطيب على لسانه وجوارحه.

وقد يكون فى الشخص مادتان، فأيهما غلب عليه كان من أهلها ، فإن أراد الله به خيراً طهره من المادة الخبيثة قبل الموافاة ، فيوافيه يوم القيامة مطهراً، فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار، فيطهره منها بما يوفقه له من التوبة النصوح، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة، ويمسك عن الآخر مواد التطهير ، فيلقاه يوم القيامة بمادة خبيثة ، ومادة طيبة ، وحكمته تعالى تأبى أن يجاوره أحد فى داره بخبائثه، فيدخله النار طهرة له وتصفية وسبكاً، فإذا خلصت سبيكة إيمانه من الخبث صلح حينئذ لجواره ، ومساكنة الطيبين من عباده.

وإقامة هذا النوع من الناس فى النار على حسب سرعة زوال تلك الخبائث

منهم وبطئها، فأسرعهم زوالاً وتطهيراً أسرعهم خروجاً، وأبطؤهم أبطؤهم خروجاً، جزاءً وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد.

ولما كان المشرك خبيث العنصر، خبيث الذات، لم تطهر النار خبثه، بل لو خرج منها لعاد خبيثاً كما كان، كالكلب إذا دخل البحر ثم خرج منه، فلذلك حرم الله تعالى على المشرك الجنة ولما كان المؤمن الطيب المطيب مبرءاً من الخبائث، كانت النار حراماً عليه، إذ ليس فيه ما يقتضى تطهيره بها، فسبحان من بهرت حكمته العقول والألباب، وشهدت فطر عباده وعقولهم بأنه أحكم الحاكمين، ورب العالمين، لا إله إلا هو»[1].

* * *

(١) من كتاب «زاد المعاد» جـ ١ ص ٢٢ ، ٢٣

obeikandl.com

نعيم الجنـة

لقد آن لأصحاب الجنة أن يستقروا في دار الفرح والسرور، ويتركوا دار الهموم والغموم، لقد آن للأجساد التى تفانت فى طاعة الله أن تستريح من العناء والشقاوة؛ لقد آن للذين كانوا يدعون ربهم رغباً ورهباً أن تقر أعينهم فى مستقر الرحمة الإلهية، يقول الله تعالى: ﴿ **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ** ﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٨].

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: « يؤتى بأشد الناس - كان - بلاءً فى الدنيا من أهل الجنة فيقول: آصبغوه صبغة فى الجنة فيصبغونه فيها صبغة فيقول الله عز وجل يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط أو شيئاً تكرهه قط؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيت شيئاً أكرهه قط ثم يؤتى بأنعم الناس كان فى الدنيا من أهل النار فيقول: اصبغوه فيها صبغة فيقول: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط قرة عين قط؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيت خيراً قط ولا قرة عين قط »(١).

ياللعظمة !! بغمسة واحدة فى الجنة ينسى المؤمن الشدائد التى ألمت به؛ ينسى الآلام بأنواعها !! فما أهون هذه الحياة التى ينسى العبد آلامها بغمسة واحدة فى الجنة، وينسى متعها جميعاً بغمسة واحدة فى النار. إن المؤمن وهو يقبل على الله مضحياً مجاهداً يوقن أنها لحظات قصيرة ثم بعدها يجد نفسه يتمرغ فى نعيم الجنة. ولقد عاش سحرة فرعون هذه الحقيقة جيداً حينما خالط الإيمان بشاشة قلوبهم ﴿ **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ * قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ**

---

(١) رواه مسلم: (١٧ / ١٤٩) صفة القيامة، ورواه ابن ماجة فى سننه (جـ ٢ / ٤٣٢١).

وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ * قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾

[طه: ٧٠ - ٧٦]

* * *

وأتوا به متشابهاً

يقول ابن عباس - رضى الله عنهما -: «ليس فى الدنيا شىء مما في الجنة إلا الأسماء، فليس العسل كالعسل، وليس الخمر كالخمر، وليس العنب كالعنب».

فمهما قرأت فى وصف نعيم الجنة، ومهما خطر ببالك من صفتها فهى أعظم مما خطر ببالك، عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] [السجدة: ١٧].

أبواب الجنة:

للجنة ثمانية أبواب، كل باب يدخل منه أهله، فمن كانت الصلاة مدرسته التى تربى فيها وأثرت فيه أكثر من غيرها فهو يدخل من باب الصلاة، ومن كان الصيام مدرسته التى تربى فيها دخل من باب الريان، ومن كان الجهاد مدرسته دخل من باب الجهاد.

---

(١) رواه البخارى، كتاب بدء الخلق، باب (٨) ما جاء فى الجنة، ورواه مسلم: الجنة وصفة نعيمها (جـ١٧)، ورواه ابن ماجة: الزهد (٤٣٢٨).

فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها، وللجنة ثمانية أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد» فقال أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى؛ فهل يدعى أحد منها كلها؟ قال: «نعم وأرجوا أن تكون منهم» (١).

درجات الجنة:

يقول رسول الله ﷺ: «وإن فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين فى سبيله» (٢).

وهذا لا ينفى أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك، إذ أن هذه الدرجات لآحاد الأمة من المجاهدين، ولا شك أن رسول الله ﷺ يكون أعلى درجة من هذه الدرجات.

أعلى الجنة:

يقول رسول الله ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة» (٣).

وعن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراؤن الغرف كما يتراؤن الكوكب الدرى الغابر من الأفق عن المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» (٤).

---

(١) رواه البخارى: فى فضائل الصحابة (٧/١٩)، ورواه مسلم: الزكاة (٧/١١٥، ١١٦)، ورواه النسائى (٦/٢٢، ٢٣) الجهاد.

(٢) رواه البخارى (٦/١١)، ورواه مسلم: الإمارة (١٣/٢٨)، والترمذى (١٠/٨) فى صفة الجنة، وابن ماجة: الزهد (٤٣٣١).

(٣) رواه البخارى (٦/١١)، ورواه مسلم (١٣/٢٨) الإمارة.

(٤) رواه البخارى (١١/٤١٦) الرقاق، ورواه مسلم (١٧/١٦٩) الجنة وصفة نعيمها.

أبنية الجنة :

يقول الله تعالى : ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ [الزمر: ٢٠] .

وهذا إخبار منه – تعالى – أن فى الجنة غرفاً مبنية فوق بعضها .

وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : « إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لولؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً فيها أهلون، ويطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً »(١) .

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال : « بناء الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة » (٢) .

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قلنا : يارسول الله : إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا، وشممنا النساء والأولاد، قال : لو تكونون – أو قال : لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى، لصافحتكم الملائكة باكفهم، ولزارتكم فى بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر لهم، قال : قلنا : يارسول الله : حدثنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال : لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، وثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم، تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب عز وجل : « وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » (٣) .

---

(١) رواه البخارى (٦ / ٣١٨) بدء الخلق، ورواه مسلم (١٧ / ١٧٥) الجنة وصفة نعيمها .

(٢) رواه أحمد فى المسند، جـ ١٦، حديث رقم (٨٧٣٢) وإسناده صحيح .

(٣) رواه أحمد فى المسند، جـ ١٥، حديث رقم (٨٠٣٠) وإسناده صحيح . والملاط : الطين الذى يجعل فى البناء، الأذفر : المراد طيب الرائحة .

قصر السيدة خديجة فى الجنة :

عن عائشة – رضى الله عنها – أن جبريل – عليه السلام – قال للنبى ﷺ : « هذه خديجة أقرئها السلام من ربها؛ وأمره أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » (١).

قصر عمر بن الخطاب فى الجنة :

عن أنس – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال : « أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش فظننت أنى أنا هو، فقلت ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب » (٢).

طعام أهل الجنة :

عن جابر – رضى الله عنه – سمعت النبى ﷺ يقول : « إن أهل الجنة ياكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس » (٣).

وأما عن أصناف الطعام فيقول الله تعالى : ﴿ **وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ** ﴾ [الواقعة: ٢٠ ، ٢١].

وأما عن الفاكهة فقد قال الله تعالى : ﴿ **وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ** ﴾ [الواقعة: ٣٣].

ويقول تعالى : ﴿ **كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا** ﴾ [البقرة: ٢٥].

---

(١) رواه البخارى (٧/١٣٣) مناقب الأنصار، ومسلم (١٥/١٩٩) الفضائل، ومعنى: الصخب: الصوت المختلط المرتفع، النصب: المشقة والتعب، والقصب: اللؤلؤة.

(٢) رواه البخارى (٦/٣١٨) بدء الخلق.

(٣) رواه مسلم، جـ١٧ ، كتاب صفة الجنة ونعيمها.

ويقول تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الإنسان: ١٤].

أى أن ثمارها تكون متدلية حتى يتناولها من يريد.

وعن ثوبان – مولى رسول الله ﷺ قال: «كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال: فمن أول إجازة؟ يعنى على الصراط فقال: فقراء المهاجرين، قال اليهودى: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد الحوت» قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل فى أطرافها» قال: فما شرابهم عليه؟ قا: «من عين فيها تسمى سلسبيلاً» فقال صدقت»[1].

شراب أهل الجنة:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

ويقول تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً﴾ [الإنسان: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

ويقول تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦].

يقول أبو الدرداء – رضى الله عنه – هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها.

ويقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

---

(١) رواه مسلم (٣/٢٢٦، ٢٢٧) الحيض، ومعنى قوله: «زيادة كبد الحوت»: الزيادة هى طرف الكبد وهو أطيبها.

ثياب أهل الجنة :

يقول الله تعالى : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣٣].

ويقول تعالى : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ﴾ [الكهف: ٣١].

والسندس هو الرقيق من الحرير، والإستبراق هو الحرير السميك، وقد أهدى لرسول الله ﷺ ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال رسول الله ﷺ :

« تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا » (١).

ويقول ﷺ : « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » (٢).

صفة أهل الجنة :

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على صورة أشد كوكب درى فى السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يتفلون؛ أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، أزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً فى السماء » (٣).

وأما عن أخلاقهم، فقال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧].

---

(١) رواه البخارى (٦ / ٣١٩) بدء الخلق.

(٢) رواه مسلم (١٧ / ١٧٤) الجنة وصفة نعيمها وأهلها، أحمد فى المسند (١٨ / ٩٢٦٨).

(٣) رواه البخارى (٦ / ٣١٩) بدء الخلق، ورواه مسلم (١٧ / ١٧٢) الجنة وصفة نعيمها.

ويقول ﷺ: «لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشية» (١).

وعن معاذ بن جبل – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة جرداً مرداً كانهم مكحول أبناء ثلاث وثلاثين» (٢).

أدنى أهل الجنة منزلة:

عن المغيرة بن شعبة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «إن موسى عليه السلام سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل قد يجىء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة فيقول: رب كيف وقد نزلت الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر» (٣).

آخر أهل الجنة دخولاً الجنة:

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «..... ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة مقبل بوجهه قِبَل النار. فيقول: يارب اصرف وجهى عن النار قد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها فيقول: هل عسيتَ إن فُعِلَ ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك فيعطى الله ما يشاء من عهد وميثاق فيصرف الله

---

(١) رواه البخارى (٦/١٣٨) بدء الخلق، ورواه مسلم (١٧/١٧٣).

(٢) رواه الترمذى (١٠/١٤) صفة الجنة، وقال: حسن غريب. ومعنى: جرداً: بدون شعر على أجسادهم، ومعنى مرداً: بدون لحية.

(٣) رواه البخارى – مختصراً – (١١/٤١٩) الرقاق، ومسلم (٢/٤٥، ٤٦) الإيمان.

وجهه عن النار فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم قال: يارب قدمنى عند باب الجنة فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذى كنت سألت؟! فيقول: يارب لا أكون أشقى خلقك فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطى ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول يارب أدخلنى الجنة فيقول الله: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك؟! أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذى أعطيت؟ فيقول: يارب لا تجعلنى أشقى خلقك. فيضحك الله عز وجل منه ثم يأذن له فى دخول الجنة فيقول: تمنّ، فيتمنىً حتى إذا انقطع أمنيته قال الله عز وجل: من كذا وكذا. أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأمانى، قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه»[1].

نساء الجنة:

يقول الله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة: ٢٥].

والأزواج في الجنة مطهرة من الحيض والبول والنفاس، والغائط، والمخاط، والبصاق، وكل قذرٍ وكل أذى يكون من نساء الدنيا، ومطهرة كذلك من الأخلاق السيئة المذمومة.

ويقول تعالى: ﴿**وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ**﴾ [الدخان: ٥٤].

والحور العين: نساء حسان جميلات، بيض الوجوه والأجساد، سود العيون، يحار فيهن الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون.

ويقول تعالى: ﴿**وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ**﴾ [ص: ٥٢].

---

(١) جزء من حديث رواه البخارى (جـ ١ ص ٢٠٤)، ومسلم (جـ ١ ص ١٦٣)، وأحمد فى المسند (جـ ١٤/ ٧٧٠٣).

فهن قاصرات الطرف على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم، ومستويات السن والميلاد فهن بنات ثلاث وثلاثين سنة.

وعن أنس – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده – يعنى سوطه – من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينها ريحاً ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»(١).

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى تليها على أضواء كوكب درى فى السماء ولكل امرىء منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب»(٢).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أنه قال: ذكر الشهيد عند النبى ﷺ فقال: «لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى يبتدره زوجتاه، كأنهما ظئران أظلتا – أو أضلتا – فصيليها ببراح من الأرض، بيد كل واحدة منهما حلة خير من الدنيا وما فيها»(٣).

وعن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

قال: قلت: يارسول الله ما الوفد إلا ركب؟ قال النبى ﷺ: «والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض، لها أجنحة، عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ. كل خطوة منها مثل مد البصر، وينتهون إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب

---

(١) رواه البخارى (٦/١٥) الجهاد، والترمذى (٨/١٥٥) الجهاد. والنصيف: هو الخمار أى غطاء الرأس.

(٢) رواه البخارى (٦/٣١٩) بدء الخلق، مسلم (١٧/١٧٢ – ١٧٣) الجنة وصفة نعيمها.

(٣) رواه أحمد فى المسند (جـ١٥/٧٩٤٢)، وابن ماجه (٢٧٩٨).

الجنة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من أحدهما جرت في وجوههم بنضرة النعيم، وإذا توضئوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً فيضربون الحلقة بالصفيحة، فلو سمعت طنين الحلقة بأعلى فيبلغ كل حوراء، أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة، فتبعث قيمها، فيفتح له الباب، فلولا أن الله عز وجل عرفه نفسه لخر له ساجداً مما يرى من النور والبهاء، فيقول: أنا قيمك الذى وكلت بأمرك، فيتبعه فيقفوا أثره، فيأتى زوجته فتستخفها العجلة، فتخرج من الخيمة فتعانقه، وتقول: أنت حبى وأنا حبك، وأنا الراضية فلا أسخط أبداً، وأنا الناعمة فلا أباس أبداً، وأنا الخالدة فلا أظعن أبداً. فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع، مبنى على جندل اللؤلؤ والياقوت، طرائق حمر، وطرائق خضر، وطرائق صفر، ما منها طريقة تشاكل صاحبتها، فيأتى الأريكة فإذا عليها سرير، على السرير سبعون فراشاً، على كل فراش سبعون زوجة، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ ساقيها من باطن الحلل، يقضى جماعهن فى مقدار ليلة، تجرى من تحتهم أنهار مطردة، أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، لم يخرج من بطون الماشية، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض فترجع أجنحتها فيأكلون من جنوبها، من أى الألوان شاءوا، إن شاء قائماً، وإن شاء متكئاً: وذلك قوله: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]. وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ»[1].

النظر إلى وجه الله عز وجل:

يقول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

[القيامة: ٢٢، ٢٣]

ويقول تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

---

(١) أورده الشيخ عبد الحميد كشك «فى رحاب التفسير» جـ١٧ ص ٢٥٤٧ : ٢٥٤٨ وعزاه لابن أبى الدنيا.

فالحسنى هى الجنة، والزيادة هى النظر إلى وجه الله عز وجل.

وعن صهيب – رضى الله عنه – قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناديا يا أهل الجنة: إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. قالوا: ما هذا الموعد؟ ألم يثقل موازيننا؟ ويبيض وجوهنا؟ ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه» (١).

صنفا أهل الجنة:

أصحاب الجنة فريقان كبيران: هما السابقون المقربون. وأصحاب اليمين، ولكل منهما نعيم.

الفريق الأول: «السابقون»:

يقول الله تعالى فيهم: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦ – ٦١].

ويقول تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ * عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ *

(١) رواه مسلم (٣/١٧) الإيمان.

وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا * إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا ﴾ [الواقعة: ١٠ - ٢٦].

والراجح من الأقوال أن الأولين والآخرين - من السابقين - هم من أمة محمد ﷺ، فالأولون من صدر هذه الأمة، والآخرون من متأخريها وأول نعيم لهم في الجنة نعيم القرب من الله، وهذه أفضل نعمة وأجل منة من الله تعالى عليهم.

الفريق الثاني: «أصحاب اليمين»:

ويقول الله تعالى فيهم: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَامَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٦٢ - ٧٨].

ويقول تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لأَصْحَابِ الْيَمِينِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾[1] [الواقعة: ٢٧ - ٤٠].

* * *

(١) والسدر المخضود هو شجر النبق المنزوع شوكه، والطلح المنضود: شجر من أشجار الحجاز فيه شوك، ولكنه هنا معد للتناول بلا كد ولا مشقة. والعرب الأتراب: متحببات إلى أزواجهن، متوافيات السن والشباب.

عـذاب النـــار

النار هى دار العذاب والعقاب، أعدها الله للكافرين والعصاة، لها سبعة أبواب لكل باب جزء مقسوم، والعذاب فيها مختلف الأنواع، والأقسام، وهى موجودة الآن باقية لا تفنى، والكفار فيها مخلدون.

يقول تعالى: ﴿ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر: ٣٦]

يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤].

فالباب الأول: يسمى جهنم لأنه يتجهم فى وجوه الرجال والنساء فيأكل لحومهم وهو أهون عذاباً من غيره.

والباب الثانى: يقال له لظى نزاعة للشوى، تدعو من أدبر عن التوحيد وتولى عما جاء به محمد ﷺ.

والباب الثالث: يقال له «سقر» وإنما سمى سقر لأنه يأكل اللحم دون العظم.

والباب الرابع: يقال لها الحطمة، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾ [الهمزة: ٥، ٦].

تحطم العظام، وتحرق الأفئدة، يقول الله تعالى: ﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ [الهمزة: ٧].

تأخذه من قدميه وتطلع على فؤاده وترمي بشرر كالقصر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات: ٣٢، ٣٣].

يعنى سوداً فتطلع الشرر إلى السماء ثم تنزل فتحرق وجوههم وأيديهم وأبدانهم فيبكون الدمع حتى ينفد، ثم يبكون الدماء، ثم يبكون القيح حتى ينفد القيح حتى لو أن السفن أرسلت تجرى فيما خرج من أعينهم لجرت.

والباب الخامس: يقال له الجحيم، وإنما سمى جحيماً لأنه عظيم الجمرة.

والباب السادس: يقال له السعير، وإنما سمى السعير لأنه يسعر.

والبا السابع: يقال له الهاوية، من وقع فيه لم يخرج منه أبداً.

عمق جهنم وشدة حرها:

عن عتبة بن غزوان عن النبى ﷺ قال: «إن الصخرة العظيمة، لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاماً ما تفضى إلى قرارها»(١).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: كنا عند رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة فقال النبى ﷺ: «أتدرون ما هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر أرسله الله فى جهنم منذ سبعين خريفاً فالآن حين انتهى إلى قعرها»(٢).

ويقول ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة قدميه فيزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك»(٣).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التى يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم قالوا: والله إن كانت لكافية يارسول الله قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها»(٤).

طعام أهل النار:

يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ * لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦، ٧]. والضريع: نوع من الشوك.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً * وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً﴾ [المزمل: ١٢، ١٣]

---

(١) رواه أحمد (٤/١٧٤)، والترمذى (١٠/٤٥، ٤٦) صفة جهنم وصححه الألبانى.

(٢) رواه مسلم (١٧/١٧٩) كتاب الجنة. والوجبة: هى السقطة.

(٣) رواه البخارى (٨/٥٩٤) التفسير، مسلم (١٧/١٨٤) كتاب الجنة.

(٤) رواه البخارى (٦/٣٣٠) بدء الخلق، ومسلم (١٧/١٧٩) كتاب الجنة.

يقول ابن عباس – رضى الله عنهما – فى قوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج.

ويقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥١ – ٥٦].

فطعامهم الزقوم الذى وصفه الله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤ – ٦٨].

والشوب هو الخلط بين الزقوم المتناهى فى القذارة والمرارة والحميم المتناهى فى اللهب والحرارة.

ويقول ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه»(١).

ويقول تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٥، ٣٦].

قال ابن عباس: الغسلين: الدم والماء والصديد الذى يسيل من لحومهم.

شراب أهل النار:

يقول الله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥ – ١٧].

---

(١) رواه الترمذى (١٠/ ٥٤) صفة جهنم، وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٥١٢٦).

فشرابهم الصديد الذى يسيل من الأجسام، يسقونه بعنف فيتجرعونه غصباً وكرهاً، ولا يكادون يسيغونه لقذارته ومرارته.

ويقول تعالى: ﴿ .... وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

والحميم هو الماء الحار المغلى بنار جهنم، الذى يقطع الأمعاء التى كانت تمتلىء كما تمتلىء أمعاء الأنعام!

كما قال تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٠، ٢١].

ويقول تعالى: ﴿ ... إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

فهى نار ذات سرادق يحيط بالظالمين فلا سبيل إلى الهرب أو الإفلات، فإذا استغاثوا من الحريق والظمأ أغيثوا بماء كالزيت المغلى يشوى وجوههم!

ويقول تعالى: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلا شَرَاباً * إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٤ – ٢٦].

ملابس أهل النار:

يقول الله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

أى أن ملابسهم من مادة سريعة الاشتعال بالنار، كريهة الرائحة؛ تطلى بهذه المادة أجسادهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسرابيل.

ويقول تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

ومعنى قطعت : أى قدرت على أجسامهم.

فرش أهل النار :

فرش أهل النار من النار، ويلتحفون بالحفة من نار، يقول تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الاعراف: ٤١].

يقول تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ....﴾ [الزمر: ١٦].

بشاعة أهل النار :

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع» (١).

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث»(٢)، وقال: «إن الكافر ليجر لسانه يوم القيامة وراءه قدر فرسخين»(٣).

دعوات أهل النار :

لأهل النار أربع دعوات، يجيبهم الله عز وجل فى ثلاثة فإذا كانت الرابعة لم يتكلموا بعدها أبداً.

الدعوة الأولى: يقولون: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

فيجيبهم الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

---

(١) رواه مسلم (١٧ / ١٨٠) الجنة.

(٢) رواه مسلم (١٧ / ١٨٦) صفة الجنة، والترمذى (١٠ / ٤٧، ٤٨) صفة جهنم.

(٣) رواه أحمد فى المسند (جـ٨ / ٥٦٧١) من حديث ابن عمر وإسناده صحيح ولفظه: «إن الكافر ليجر لسانه يوم القيامة وراءه قدر فرسخين يتوطؤه الناس» أى يدوسونه.

الدعوة الثانية: يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السجدة: ١٢]

فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]

الدعوة الثالثة: يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]

فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطرة: ٣٧].

الدعوة الرابعة: ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧].

فيجيبهم الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

فلا يتكلمون بعدها أبداً.

ذبح الموت بين الجنة والنار:

عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم»(١).

تحسر أهل النار على فوات مقعده فى الجنة:

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال النبى ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن، ليكون عليه حسرة»(٢).

---

(١) رواه البخارى (١١/٦٥٤٨) كتاب الرقاق.

(٢) رواه البخارى (١١/٦٥٦٩) كتاب الرقاق.

صنوف من العذاب فى النار :

١ - عذاب شارب الخمر :

عن أسماء بنت يزيد - رضى الله عنها - أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة . . . فإن مات مات كافراً . . فإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال . قيل يارسول الله : وما طينة الخبال؟ قال : صديد أهل النار »(١) .

٢ - عذاب مانع الزكاة :

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال : « ما من صاحب كنز لا يؤدى زكاته إلا مثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرعَ له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه فيقول أنا مالك أنا كنزك »(٢) .

وقرأ هذه الآية ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

٣ - عذاب المنتحر : (الذى يقتل نفسه)

يقول ﷺ : « من قتل نفسه بشىء عذب به فى نار جهنم » .

ويقول ﷺ : « من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه في نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه فى نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردى فى نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً »(٣) .

٤ - عذاب من يشرب فى آنية الذهب والفضة :

عن أم سلمة - زوج النبى ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال : « الذى يشرب فى إناء الفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم »(٤) .

---

(١) رواه أحمد وابن حبان .

(٢) رواه البخارى (١١ / ٥٣٧) الأيمان والنذور، ومسلم (٢ / ١١٩) الإيمان .

(٣) رواه مسلم (٢ / ١١٨) الإيمان، من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - .

(٤) رواه البخارى (١٠ / ٩٦) الأشربة .

٥ - عذاب من يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه :

يقول رسول الله ﷺ : « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار، فتندلق أقتابه فى النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أى فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال : كنت أمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه »[١].

٦ - عذاب الذى يكتم العلم :

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « من سُئل عن علم فكتمه، أُلجم بلجام من نار يوم القيامة »[٢].

* * *

(١) رواه البخارى (٦/٣٢٩) بدء الخلق، ومسلم (١٨/١١٨) الزهد.
(٢) رواه أحمد فى المسند (جـ١٤/٧٥٦١) وإسناده صحيح.

obeikandl.com

حوارات

١ - حوار بين أهل الجنة وأهل النار :

يقول تعالى : ﴿ **وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأعراف : ٤٤] .

فبعد أن اطمأن أهل الجنة في الجنة إذا بهم يسخرون من الظالمين فيسألونهم «فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟»، فيأتي الجواب في كلمة واحدة «نعم» وانتهى الحوار .

ويأتي نداء آخر من أهل النار لأهل الجنة فيه الاستجداء والاستعطاف : ﴿ **وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ** ﴾ فإذا بأهل الجنة يردون عليهم قائلين لهم : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [الأعراف : ٥٠] .

٢ - حوار أصحاب الأعراف مع أهل الجنة وأهل النار (*) :

يقول الله تعالى : ﴿ **وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ** ﴾

[الأعراف : ٤٦]

ثم إذا بهم ينظرون فيرون رجالاً من كبار المجرمين الذين كانوا يصدون عن سبيل الله، فيتجهون إليهم بالتبكيت والتأنيب :

(*) نحن مع الرأى القائل بأن أصحاب الأعراف هم الدعاة والأنبياء الذين كانوا يدعون الناس إلى الله، وهذا ظاهر من أسلوب الحوار وتبكيت الكافرين وتأنيبهم، فليس هذا من شأن أناس تساوت حسناتهم بسيئاتهم، ولكنه أسلوب أناس طالما تحاوروا مع الظالمين في الدنيا، وجادلوهم فها هم الآن يذكرونهم بالذى كان .

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٨ - ٤٩].

فها أنتم الآن فى النار، لا جمعكم نفعكم، ولا استكباركم أغنى عنكم ! بل إن الذين كنتم تقولون عنهم إنهم ضالون ! مفسدون ! منحرفون ! ها هم الآن فى الجنة.

٣ - حوار بين السابقين واللاحقين من أهل النار :

يقول تعالى : ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٧ - ٣٩].

ولقد كانت هذه الأمم، وهذه الفرق، يتبع آخرها أولها، ويوصى السابقون للاحقين، فها هم الآن فى النار، وقد تنكر الولى لمولاه، ولعن الابن أباه، فالذين كانوا أولياء صاروا أعداء! حتى إذا جمعهم الله تعالى جميعا فى النار بدأ الخصام يطلب التابعون مضاعفة العذاب للمتبوعين لأنهم هم الذين أضلوهم !! فإذا بالقادة المتبوعين يقولون لهم « فما كان لكم علينا من فضل » أى أنكم لستم أفضل منا حتى يخفف الله عنكم العذاب دوننا، فكنا في الكفر سواء.

٤ - حوار بين المستكبرين والمستضعفين من أهل النار :

يقول الله تعالى : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم: ٢١].

ويقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧ - ٤٨].

فها هم الضعفاء الذين لم يكن لهم شخصية مستقلة فى الاعتقاد ولا فى التفكير، وجعلوا أنفسهم ذيولاً للمستكبرين المتجبرين الطغاة. ولكن ما الذى جعلهم هكذا ذيولاً؟! لا القوة المادية تستطيع أن تصنع الذيول، ولا قلة الجاه تجعل الإنسان ذيلاً، ولا قلة المال تسلب عن الشخص إرادته وحريته فلقد كان صحابة رسول الله ﷺ، منهم من كان ضعيفاً بدنياً، ومنهم من كان فقيراً مادياً، ورغم ذلك هم الذين واجهوا الطغاة وأزالوهم وخلوا بين الناس وخالقهم ليتحرروا من قيود العبودية لغير الله.

إذن فليست أعراض الحياة الدنيا هى السبب فى صنع هذه الذيول، وأما السبب الحقيقى فيقول عنه شهيد الإسلام - سيد قطب - رحمه الله:

«إن المستضعفين كثرة، والطواغيت قلة. فمن ذا الذى يخضع الكثرة للقلة؟ وماذا الذى يخضعها؟ إنما يخضعها ضعف الروح، وسقوط الهمة، وقلة النخوة، والتنازل الداخلى عن الكرامة التى وهبها الله لبنى الإنسان!

إن الطغاة لا يملكون أن يستذلوا الجماهير إلا برغبة هذه الجماهير. فهى دائماً قادرة على الوقوف لهم لو أرادت. فالإرادة هى التى تنقص هذه القطعان!

إن الذل لا ينشأ إلا عن قابلية للذل فى نفوس الأذلاء.. وهذه القابلية هى وحدها التى يعتمد عليها الطغاة!!

والأذلاء هنا على مسرح الآخرة فى ضعفهم وتبعيتهم للذين استكبروا يسألونهم «إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء؟

وقد اتبعناكم فانتهينا إلى هذا المصير الأليم؟!

أم لعلهم وقد رأوا العذاب يهمون بتأنيب المستكبرين على قيادتهم لهم

هذه القيادة، وتعريضهم إياهم للعذاب؟ إن السياق يحكى قولهم وعليه طابع الذلة على كل حال !

ويرد الذين استكبروا على ذلك السؤال :

«قالوا: لو هدانا الله لهديناكم ! سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص!»[1]. انتهى.

وقد وصف لنا القرآن كيف أن كلا الفريقين – الرؤوس والذيول – يتبرأ من الآخرة.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾

[البقرة: ١٦٥ – ١٦٧]

براءة الشيطان من تابعيه :

يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

فها هو الشيطان، بعد عداوته لهم، بعد إغرائه لهم، بعد تزيينه المعصية لهم، بعد صدهم عن الدعوة، بعد تجنيدهم له ليصدوا عن سبيل الله، بعد هذا كله يرجع يؤنبهم ويوبخهم على أن أطاعوه واستجابوا له !

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٠٩٦

فهلا وعى اتباعه هذه الحقيقة من الآن ؟!

فهلا بدأوا هم بإعلان البراءة منه ؟!

* * *

حســـرات

١ - حسرة الظالمين:

يقول الله تعالى: ﴿ **يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً** ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

فها هو الظالم يندم ويتحسر ويظهر أثر ذلك متمثلاً فى عضه على يديه، يقول ليتنى سلكت طريق الرسول.. ليتنى اتبعت منهجه.. ليتنى اقتفيت أثره... ليتنى اتبعت سنته... ليتنى حملت دعوته... ليتنى واليت أتباعه... ليتنى لم أتخذ صاحباً يصرفنى عن طريق الرسول، يزين لى مخالفة الرسول، يغوينى بمحاربة الرسول، يضمنى لأعداء الرسول، يفتن بى أتباع الرسول؛ لقد أضلنى هذا الصاحب بعد أن جاءنى الذكر... ورأيت النور... وكدت أن أقتبس عنه، وكدت أن أعيش فيه، وكدت أن أحمل مشعل النور، لولا أن خذلنى شيطان الإنس وشيطان الجن.

وهذا الموقف يصوره الله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيراً** ﴾ [الأحزاب: ٦٦ - ٦٨].

فالله تعالى يقدم نداءه من الآن قبل فوات الأوان:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٦١].

* * *